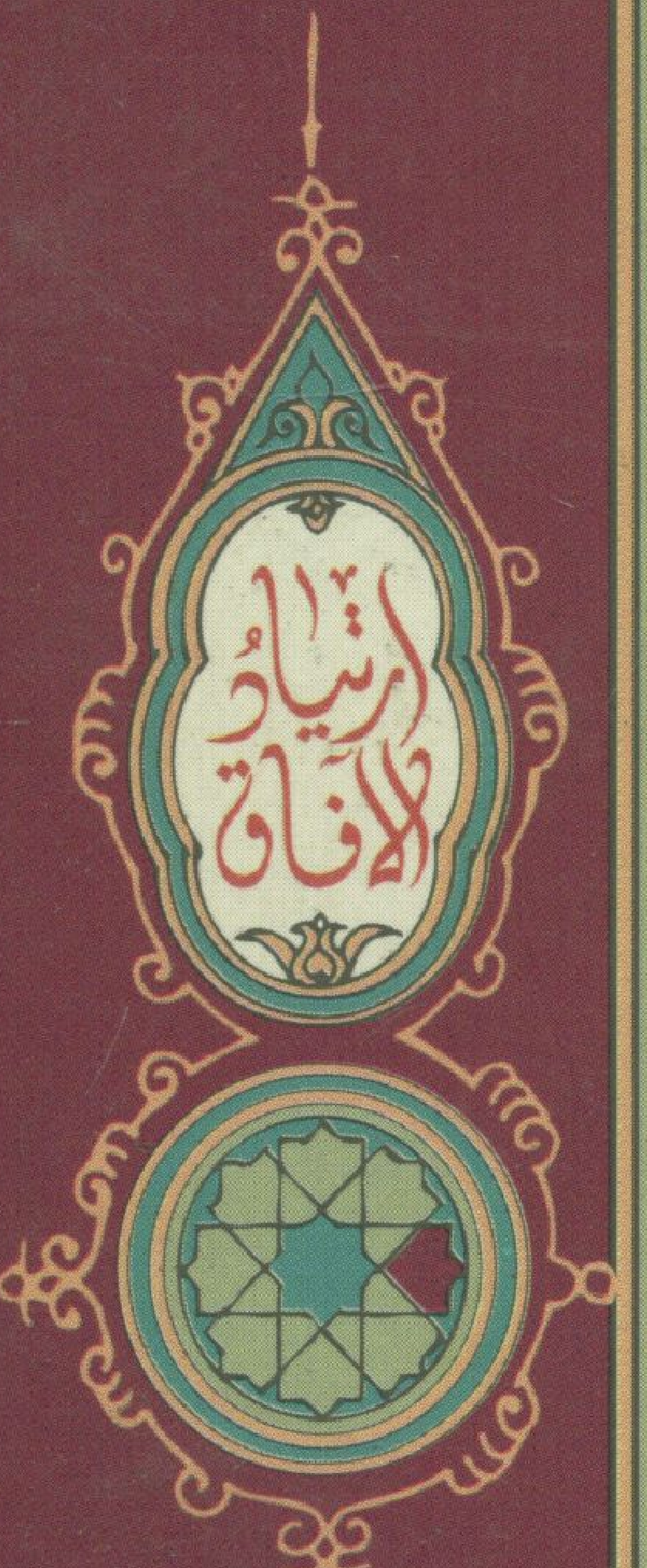




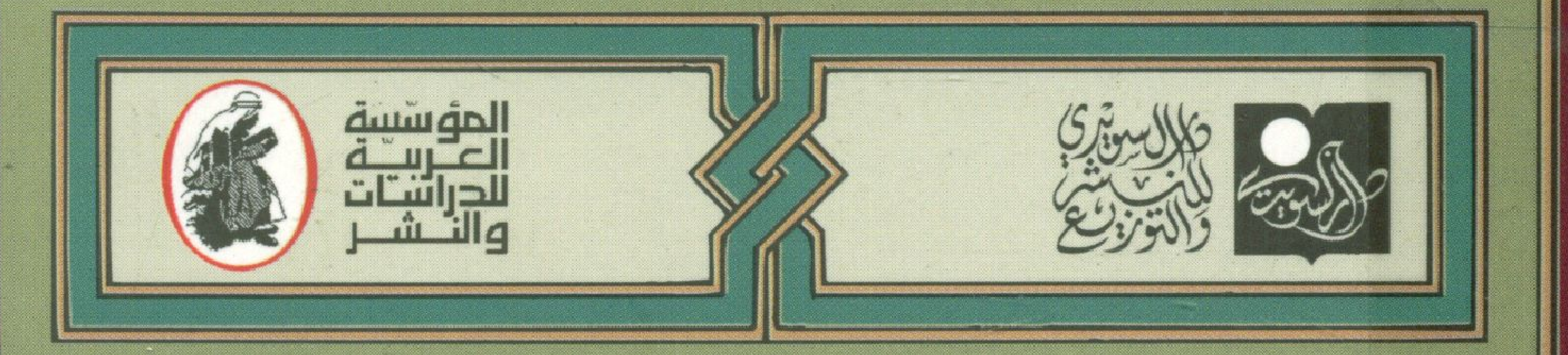
الرحلة اليابانية

1909

الأمير محمّد علي باشا



حرّرها وقدّم لها: علي أحمد كنعان


المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر

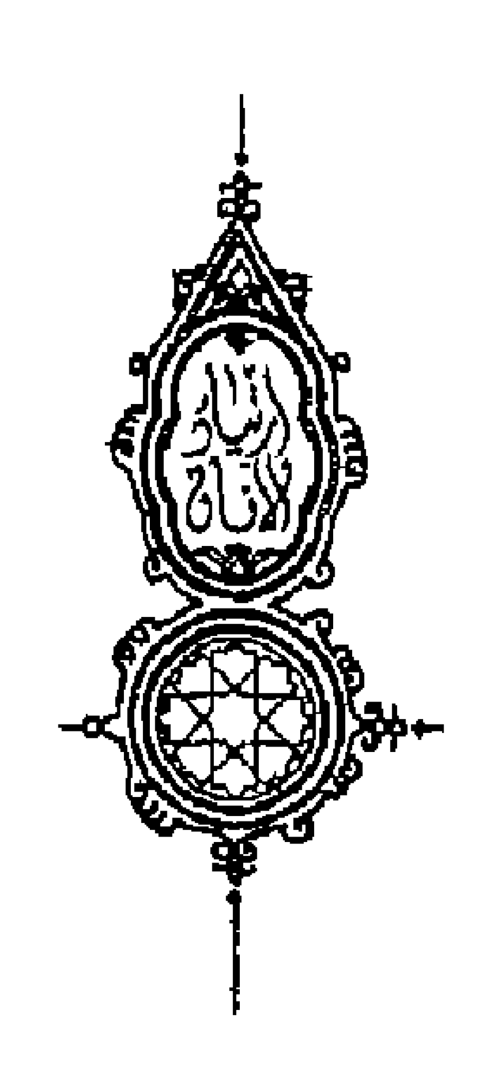
دار السويدي للنشر والتوزيع

إهداء ٢٠١٠

المرحوم / محمد بن على الدعفس
المملكة العربية السعودية



1909



الرحلة اليابانية ١٩٠٩/ أدب رحلات
الأمير محمد علي باشا / مؤلّف ، [حرّرها وقدّم لها :علي أحمد كنعان]
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤
حقوق الطبع محفوظة



دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي ، ص. ب : ٤٤٤٨٠
الإمارات العربيّة المتّحدة ،
هاتف : ٦٣٢٢٠٧٩ ، فاكس : ٦٣١٢٨٦٦

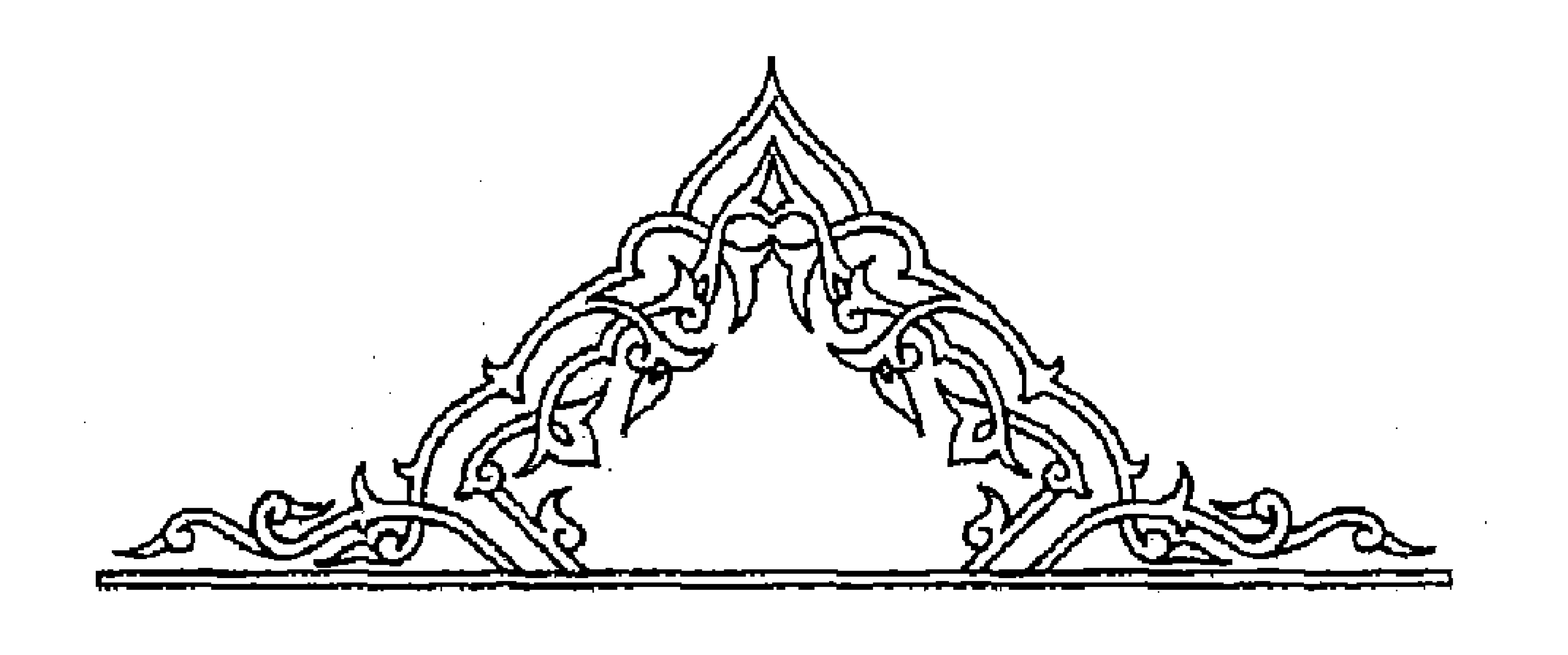


المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo

تصميم الغلاف : منير الشعراني / مصر
الصفّ الضوئي :
القرية الإلكترونيّة / أبو ظبي + المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-603-9

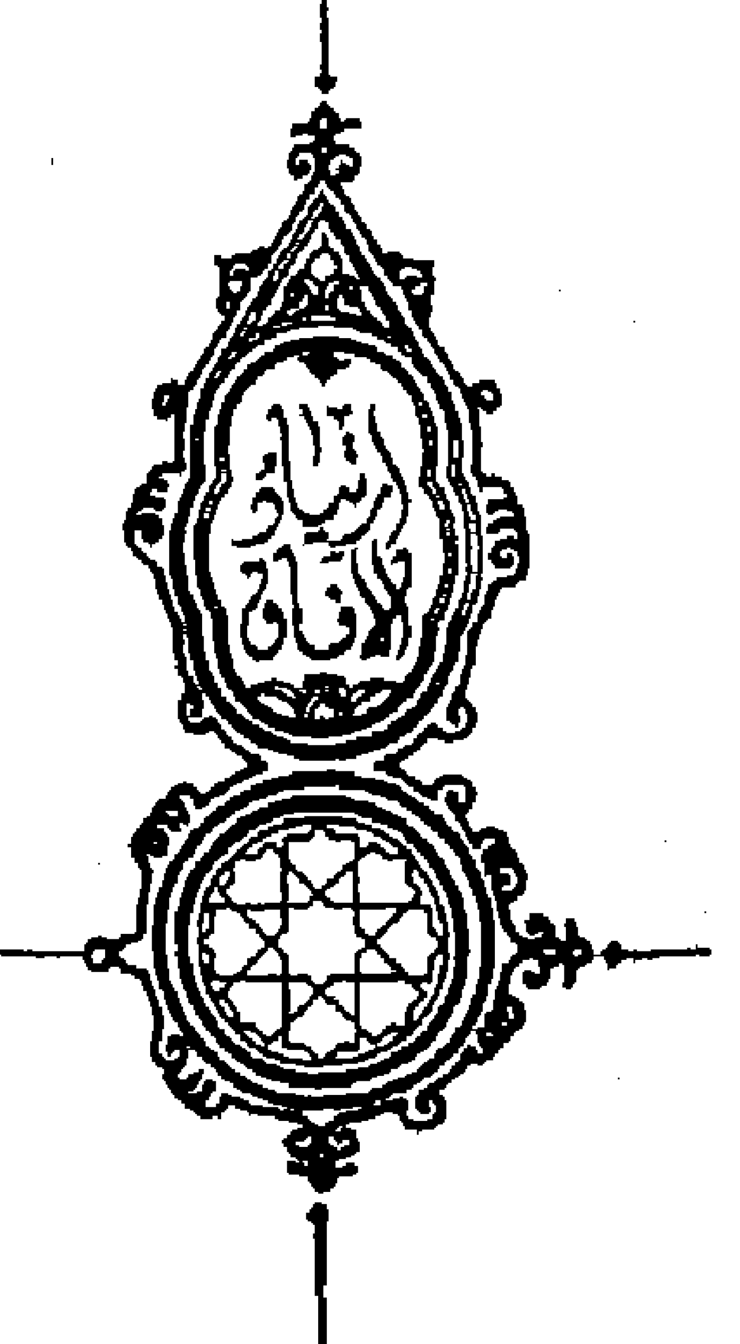


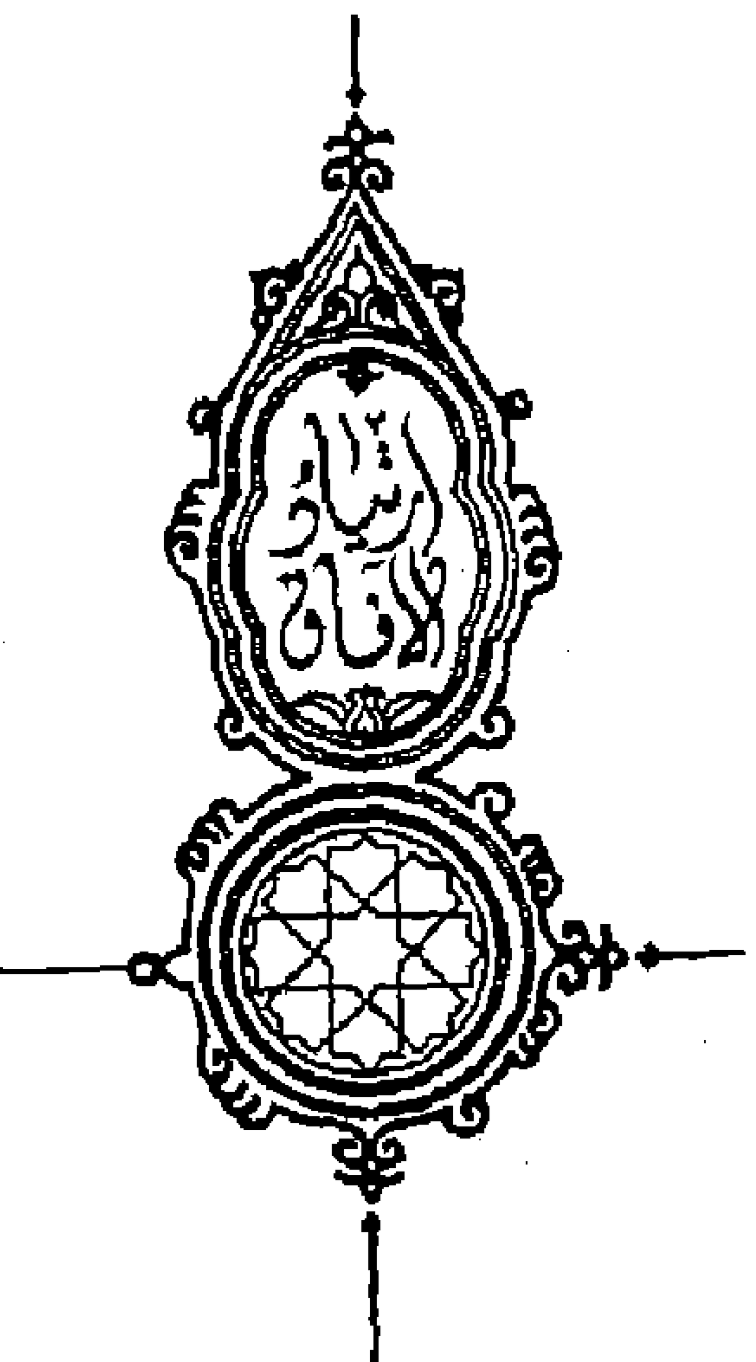
الرحلة اليابانية

1909

الأمير محمد علي باشا

حررها وقدم لها: علي أحمد كنعان





يشرف على هذه السلسلة :
نوري الجراح

وبمجرد وصولنا إلى هذه الحجرة وجلوسنا فيها ، قد أتت عدّة نساء وأحضرن أمام كل واحد منا خِواناً صغيراً لأجل وضع الأكل عليه ، فجلسنا على هذه المقاعد متربعين كالعادة العربية . ثم أحضروا لنا الأكل ، فأوّلا قد أحضروا لنا المرقة المعروفة بالشربة ولم يحضروا لنا ملاعق لأجلها ، بل إنهم من غريب أمرهم أنهم قد استعاضوا عنه بكاسات صغيرة يشربونها بها . وبعد ذلك أحضروا لنا نوعاً من السمك حسن الصنع ، وعدة من أنواع الخضراوات والأرز . وكان الأكل بواسطة خشبتين صغيرتين يقبضهما الإنسان ويجعلهما شبه (الكماشة) ثم يأكل بهما ، وكل شخص له آنية مخصوصة . . .

من نص الرحلة ص 60

وفي اليوم التالي قد أصبح الهواء معتدلا والجو رائقا والسماء مصحية ، فرأينا أن هذه الفرصة لزيارة المعبد الذي على قمة الجبل . ولما أخبرونا أن هذا المعبد في محل في غاية الارتفاع وأن الواصل إليه لا بد أن يجتاز 20,000 (ألف) درجة حتّى يصل إليه ، رأينا أن هذا أمر صعب وتعب كثير ، فأخبرونا أن هناك رجالا يحملون الإنسان وهو جالس على كرسي من الخيزران حتّى يوصلوه إليه وسهلوا لنا الأمر ، فتوجهنا إليه ووجدنا هذه الكراسي يجلس فيها ويحمل كل واحد منها أربعة رجال ، كل اثنين من جهة . والذي يظهر في الأمر أنها سهلة ، ولكنها في الحقيقة متعبة تعبا كثيرا . . .

من نص الرحلة ص 89



تهدف هذه السّلسلةُ بَعْثَ واحد من أعرق ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية ، من خلال تقديم كلاسيكيّاتِ أدبِ الرِّحلةِ ، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميّاتهم وانطباعاتهم ، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبِروهُ في أقاليمه ، قريبةً وبعيدةً ، لاسيما في القَرنين الماضِيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة ، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنّاس في الغرب ، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشَّرقِ ، ورسموا له صوراً ستملأ مجلدات لا تُحصى عدداً ، خصوصاً في اللغاتِ الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم ، ومن منطلق المستأثر بالأشياء ، والمتهيء لترويج صور عن «شرق ألف ليلة وليلة» تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاتهم ، وتُمهِّدُ الرأي العام ، تالياً ، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق . ولعل حملة نابليون على مصر ، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية ، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك . فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري .

على أن الظّاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله ، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها ، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري ، لتجد نفسها تملك ، بدورها ، الدوافعَ والأسبابَ لتشدّ الرحال نحو الآخر ، بحثاً واستكشافاً ، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقوله في حضارته ، ونمط عيشه وأوضاعه ، ضاربة بذلك الأمثال للناس ، ولينبعث في المجتمعات العربية ، وللمرة الأولى ، صراع فكري حاد تُسْتَقْطَبُ إليه القوى الحيّةُ في المجتمع بين مؤيد للغرب موالٍ له ومتحمّسٍ لأفكاره وصياغاته ، وبين معادٍ للغرب ، رافض له ، ومستعدٍّ لمقاتلته .

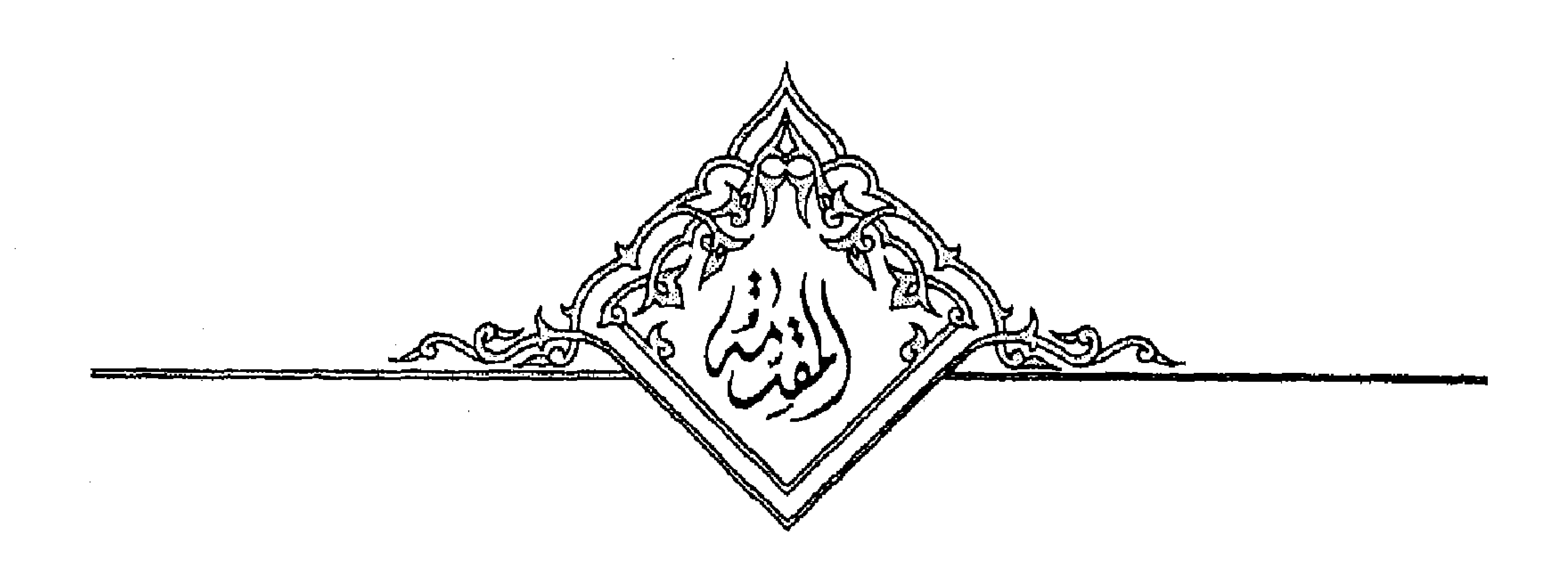
وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين ، عَبْرَ رسم صور دنيا لهم ، بواسطة مخيّلة جائعة إلى السّحري والأيروسيّ والعجائبيّ ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم ، كما سيتّضح من خلال نصوص هذه السلسلة ، ركّز ، أساساً ، على تتبع ملامح النهضة العلميّة والصناعيّة ، وتطوّر العمران ، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق . لقد انصرف الرّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات ، مدفوعين ، غالباً ، بشغف البحث عن الجديد ، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط ، من باب الفضول المعرفي ، وإنما ، أساساً ، من بابِ طَلَبِ العلم ، واستلهام التجارب ، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث ، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشّللِ الحضاريِّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها . هنا ، على هذا المنقلب ، نجُد أحد المصادر الأساسية المؤسّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته ، وهي نظرة المتطلّع إلى المدنيّة وحداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة ، المتحسّر على ماضيه التليد ، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية .

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم ، هو

الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة ، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرّحالة ، والانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار . فأدب الرحلة ، على هذا الصعيد ، يشكّل ثروةً معرفيّةً كبيرةً ، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار ، فضلاً عن كونه مادة سرديّة شائقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى ، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكّرُ بها .

أخيراً ، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسة التي قد تبلغُ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس ، وللمرة الأولى ، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربيِّ في ارتيادِ الآفاق ، واستعداده للمغامرة من بابِ نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمُتعةِ ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض وفي قارّاته الخمس ، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالَمه ، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء ، وغيرهم من الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية .

محمد أحمد السويدي



أمير عاشق للترحال والمغامرة والاستكشاف يقطع في مدة شهرين ونصف الشهر مسافات هائلة لا تقل عن خمسة وعشرين ألف كيلو متر ، أي أكثر من نصف محيط الأرض . إنها رحلة متعبة بقدر ما هي ممتعة وزاخرة بثمار المعرفة وروائع الطبيعة ومعالم العمران وألوان من البشر والاحتفالات والمعلومات ، لكن محمد علي باشا الذي أمضى سنين طويلة في أوربا طلبا للعلم واكتساب الخبرة والمعرفة لا يتردد في خوض هذه التجربة الاستكشافية والإنسانية الرائعة . هذه ، إذاً ، ليست رحلته الأولى ولن تكون الأخيرة . لكن الشطر الأكبر من النص الذي دونه الرحالة خلال جولته هذه يركز فيها على أرض اليابان وشعبها والمدن التي زارها وأمعن النظر والفكر في طبيعتها وصروحها وأسواقها وأحوال أبنائها وصنائعهم .

ومن الخطوة الأولى التي سارها الرحالة في هذه البلاد ، يخطر للقارئ العربي أن يتابع ويقارن بين صورة النهضة في مصر وحالها في اليابان ، ولا سيما أن محمد علي سبق الإمبراطور ميجي في التوجه إلى فرنسا وبريطانيا للاستفادة من علومهما وصناعتهما بما لا يقل عن ربع قرن . وإذا كان همُّ الغرب الشاغل في ذلك العهد منصبا على تحطيم الدولة العثمانية ، طمعا في احتلال أطرافها واقتسام الغنائم ، فقد كانت حال اليابان أحسن وأسلم . وفضلا عن ذلك ، فمن المؤكد أن تلك الجزر الواقعة في أقصى شرق آسيا

كانت جديدة بالمعاينة والتأمل والاهتمام ، وبخاصة في ذلك الوقت من بدايات القرن العشرين ، وقد جعلت نشوة النصر العسكري على روسيا أبناء ذلك الأرخبيل يتطلعون بزهو ، لا يخلو من غرور واستعلاء ، إلى التوسع واحتلال البلدان المجاورة في الصين وكوريا وإخضاع شعوبها .

الانطلاق بحراً

تبدأ الرحلة من القاهرة إلى الإسكندرية بالقطار ، ومن ثم يركب الأمير البحر متجها شمالا . . . لتنتهي مرحلة الذهاب في كوريا ، مرورا بإيطاليا وفيينا وموسكو ، لينطلق منها مخترقا سيبريا بالقطار إلى ميناء فلاديفوستوك في أقصى شرق روسيا ، ومن ثم يسافر بحرا إلى اليابان فكوريا ، ومنها يبدأ رحلة العودة عبر شمال الصين حتى يصل خاربين – عاصمة منشوريا . ومن خاربين يستقل القطار عائدا ، عبر سيبريا ، إلى موسكو بالقطار ذاته الذي حمله من قبل إلى شاطئ بحر اليابان . طول الخط الحديدي الذي يعبر سيبريا في الأراضي الروسية يزيد عن تسعة آلاف كيلو متر[1] . وإذا أضفنا إلى هذه المسافة طول الخط الواصل بين العاصمة النمساوية والعاصمة الروسية ، فضلا عن المسافة التي قطعها بحرا من الإسكندرية إلى ميناء تريستا في شمال شرق إيطاليا ، وسفره بالقطار من هناك إلى فيينا ، لزادت المسافة التي قطعها ذهابا وإيابا عن خمسة وعشرين ألف كيلو متر . إضافة إلى ذلك كله ، لا ننسى أنه تنقل قاطعا في تجواله مئات الكيلومترات عبر المدن والأرياف في اليابان وكوريا .

منذ البداية نرى أن الأحداث العاصفة التي أدت إلى خلع السلطان عبد الحميد في أبريل 1909 قد أخرت موعد الرحلة شهرا وزادت من طول الطريق ، إذ اضطر الأمير محمد علي أن يبتعد عن اسطنبول وما تعاني من أخطار واضطرابات .

عبور سيبريا بالقطار

باشر الرحالة بتدوين وقائع رحلته من موسكو ، بعد أن مر مرورا عابرا بذكر المحطات الأولى بدءا من الإسكندرية حتى العاصمة الروسية . إن عبور سيبريا بالقطار

(1) طوله من موسكو إلى فلاديفوستوك 9298 كم ، كما ورد في موقع google على الشبكة العالمية .

من موسكو إلى فلاديفوستوك ليس حدثا عاديا ، إنما هي رحلة فريدة لا تخلو من مجازفة خطرة وشجاعة جديرة بالتقدير في وقت مبكر من القرن الماضي ، ولا سيما أن هناك عصابات (الكونكوز) التي تحترف الابتزاز والسطو والنهب ، ورجالها يستغلون طول الطريق والصعوبة البالغة في توفير الحماية الدائمة للمسافرين ، فيصعدون القطار وكأنهم ركّاب عاديون ثم ينتظرون المكان المناسب والفرصة المواتية لارتكاب جناياتهم والفرار بأسلابهم تحت جنح الظلام .

يذكر الأمير محمد علي أنه لم يشأ أن يتحدث عن السكة الممتدة بين فيينا وموسكو لأنها معروفة . وقد اقتصر حديثه على مشاهداته خلال الأيام الثمانية التي أمضاها عابرا سيبريا بالقطار . وهو يوجز بالحديث أحيانا ، وغالبا ما يكتفي بالتلميح العابر بدل الوصف الأدبي الذي يحتفي بإيراد تفاصيل المشهد ، فيقول :

« . . وقد مررنا على كثير من المحطات الصغيرة ، ورأينا جملة قطارات تحمل كثيراً من المهاجرين . . .»

وحتى مناظر الطبيعة التي تأسر لب الزائر المتأمل وتملأ نفسه بالمتعة والابتهاج ، كان يطيب له بين حين وآخر أن يقارنها بسويسرا حيث أمضى فترة من شبابه واحتفظ منها بأغلى الذكريات ، وهو يمر بهذه البقاع الآسيوية مستعجلا ، وكأن جملة واحدة تفي بالغرض وتزيد ، فيقول :

« . . وصار القطار يمر بنا مر السحاب ، وكم مررنا على مناظر جميلة تدهش بحسنها الألباب . . .»

من المحتمل أن الرحالة واجه ، في بعض مراحل الطريق ، مواقف صعبة لا تخلو من مضايقة وعناء خلال الأيام التي أمضاها في اجتياز تلك البقاع المترامية من الأرض الروسية . والحديث عن ذلك الخط الحديدي بشيء من التفصيل يبدو ضروريا ومفيدا ، نظرا لطوله الفريد من نوعه في العالم ، وتأكيدا على فرادة الجسور والأنفاق العديدة التي أنشئت من أجله ، ناهيك بألوان شتى من مشاهد الطبيعة وملامحها المختلفة ، فضلا عن أهمية الخط الاستراتيجية ، وبخاصة أن التأخر في إنجازه كان أحد الأسباب التي أدت إلى هزيمة الروس أمام اليابانيين ، نظرا لبعد جبهة القتال وصعوبة الإمدادات وتأخر وصولها . وربما آثر الأمير ذلك الإيجاز بدافع الخشية من المساس باسمه ومكانته ، ولا سيما أنه كان يسافر متنكرا ، وكان حريصا جدا على ألا يكشف عن نفسه إلا إذا اقتضى المقام ذلك ، كما في زيارة السفارة البريطانية

أو لقاء نائب الرئيس الأميركي المسافر في القطار ذاته .

وإلى جانب هذا الاحتراس الأمني ، ظل الرحالة وفيا لقلمه ، عاكفا على تسجيل ما يراه جديرا باهتمامه واجتذاب قرائه ، وإن آثر التكثيف والإيجاز في عديد من المحطات . ولم يتخلَّ عن هذا الإيجاز حتى في زيارته العابرة لكوريا ومنشوريا ، وكأن هذين البلدين لا يستحقان أن يشغل باله بهما أو يتعب قلمه بوصفهما ، لأن المشهد الياباني طغى على كل ما عداه .

ولعلنا نستثني من ذلك وصفه للمزارع والجمال والخيول التي شاهدها في طريقه . ومن شدة اهتمامه بالخيل الأصيلة ، وهو المعروف بالفروسية ، نراه يصف الجياد التي رآها ويصف سروجها وطريقة ركوب الفرسان لها ، ويقارن بين ما يراه منها في شرق آسيا وبين ما يعرفه عنها بخبرته الواسعة سواء في مصر أم في الغرب بوجه عام .

في اليابان

عندما بلغ الرحالة اليابان ، سرعان ما انطلق على سجيته وراح يدون أدق الملاحظات ، مما يوحي أنه ظل أسير العنوان الذي خصَّ به كتابه هذا «الرحلة اليابانية» . فهل كان ينوي أن يقوم برحلات قادمة في البلاد الأخرى ليفرد لها كتابا مستقلا؟ أم أن المدة القصيرة التي قضاها فيهما مسافرا لم تسعفه بالكتابة التي تحتاج إلى مزيد من الوقت والتأمل والاطلاع على بعض المراجع التي لم تتيسر له؟ أم أن حالة الفقر والخضوع والاستسلام للقوة اليابانية في تلك البلدان هي التي جعلته يعرض عن الاهتمام بها؟ إن نص الرحلة لا يمدنا بإيضاح وافٍ ، لكن الأمير يبدي نفورا من الكوريين وهو يلحظ تدنيا في مستوى النظافة عندما يقارنهم باليابانيين . ويبدو أن العاصمة الكورية لم تسلم من تلك الحالة البائسة التي كانت تعاني منها البلاد تحت الاحتلال الياباني ، فيقول : « . . ورائحة الشوارع كريهة من رائحة المنازل المجاورة لها» .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك حالة القلق والتوجس من أخطار الطريق ، بعدما نصحهم صاحب الفندق الكوري في العاصمة بأن يأخذوا حذرهم وأن يتزودوا بما يحتاجون من طعام وشراب خلال اليومين اللذين يستغرقهما السفر في الطريق الجبلية عبر الحدود الكورية الصينية ، إما بسبب الفقر المنتشر في تلك المناطق أو

لأسباب أمنية ، وحرصا على سلامتهم من اللصوص والوحوش الضارية . لكن الرحلة مرت بسلام .

طبيعة اليابان الساحرة بحدائقها وجبالها وأنهارها أخذت نصيبها الوافي من اهتمام الرحالة ، كما أن المعالم العمرانية والأثرية من معابد وقلاع ومتاحف أفرد لها جل وقته ، وكان واضحا أن غنائم الانتصار العسكري على روسيا كانت من أهم معروضات المتاحف الحربية وقد اجتذبت نظر السائح الكبير واسترعت اهتمامه .

قام الأمير بزيارة سبع مدن يابانية ، هي على التوالي : طوكيو ، يوكوهاما ، نكو ، ناغويا ، أوساكا ، كوبيه ، كيوتو ؛ هذا فضلا عن تسوروغا على الساحل الغربي وهي الميناء الذي دخل منه تلك البلاد ، وشيمونوسيكي على الساحل الجنوبي وهي الميناء الذي غادر منه اليابان إلى كوريا . ولعل زيارة جزيرة مياجيما ، أثناء حركة المد والجزر ، كانت من أجمل المواقع التي زارها في اليابان ، وهي ما تزال من أهم المعالم السياحية حتى يومنا هذا .

رحلة الأمير هذه جاءت بعد ثلاث سنوات من الرحلة الرائدة التي قام بها الشيخ علي أحمد الجرجاوي ، صاحب مجلة الإرشاد ورئيس تحريرها ، لحضور مؤتمر ديني «تنحصر أعماله في البحث في أصول كل دين» - كما يقول . ويبدو أن نظرة الأمير لا تختلف عن نظرة الجرجاوي واهتمامه بدعوة اليابانيين لاعتناق الإسلام ، فهو يقول :

« . . فلو وجدت بعثة إسلامية وذهبت إلى تلك البلاد لوجدت أذنا صاغية وقلوبا واعية وأمكنها أن تدخل كثيرا منهم في الديانة الإسلامية . . .» ثم يضيف في فقرة تالية ، موضحا وجهة نظره : « . . لو قام فريق من متعلمي المسلمين في الهند أو الصين لقربه منهم وسرعة التفاهم بينهم ، لأمكن تعليمهم وصارت هذه الأمة العظيمة كلها أو جلها إسلامية . . .»

لكن هذه المسألة لم تشغل بال الأمير طويلا ، وهي المهمة الأساسية لسلفه . تركز اهتمامه على ما بلغته اليابان من مظاهر التقدم الحضاري في الإدارة والصناعة والتنظيم ، ولم يقف عند هذه الحدود بل تخطاها إلى الاهتمام بشتى ما رآه وخبره بنفسه أو سمعه من آخرين ، ولم يتردد في تسجيل آرائه سلبا وإيجابا . ونلاحظ أن إعجاب الرجل بأوربا ، حيث درس وتنقل وعاش طويلا بين ربوعها المختلفة ، لم يظهر بجلاء في هذه الرحلة إلا من خلال المقارنة بين جمال النساء وجودة ألوان الطعام

وبعض الصناعات التي يمتاز بها الغرب الأوربي ، بينما لم يكن الأمر كذلك في أقصى الشرق الآسيوي .

المظاهر الملكية

من الأمور التي نرى أن الرحالة مشغول بها أكثر من غيرها بشكل واضح ، نرى أن الاحتفالات الرسمية والمظاهر الملكية والتنظيمات الإدارية تحظى بمكانة خاصة . فهو لا ينسى لحظة أنه رجل دولة ، وإن لم يذكر ذلك صراحة . من هذا المنطلق ، نراه حريصا على مراقبة نفسه ودراسة كل خطوة في تصرفاته وعلاقاته وحتى في تدوين مشاهداته ، بدءا من اهتمامه بمظاهر الاحتفال الشعبي عند استقبال ولي العهد القيصري على مقربة من حدود منشوريا في روسيا . والأمير ينظر بعين الرضا والتقدير إلى سلوك ذلك الدوق وتواضعه ، إذ يقول عنه :

« . . ولما جاء وقت الأكل حضر دولة الغراندوق إلى حجرة الأكل العمومية ، وأكل معنا بكل سرور وابتهاج ، ولم يظهر عليه ما يفيد أدنى تأفف ولا تكبر ولا أنفة ولا عظمة ، فعلمنا من ذلك أنه رجل وديع الأخلاق كامل الصفات ، يميل للتواضع والموادعة ، ويحب المجاملة والمصانعة . . .»

والرحالة لا يخفي إعجابه بالتنظيم والانضباط الياباني وهو يورد ، بتفصيل واضح ، ما يشبه الوثيقة الرسمية عند وصفه موكب الاحتفال بعيد ميلاد الإمبراطورة . وربما شاركناه في مشاعر الحرج والضيق حين اعتذرت وزارة الخارجية عن السماح له بزيارة القصر الإمبراطوري ، بذريعة أن الطلب ينبغي أن تقدمه جهة دبلوماسية . وفي كوريا لم يتردد في زيارة قبر أم الملك ، عملا بنصيحة الترجمان ، لكنه وجده «في غاية البساطة» .

ومن الأمور التي تلفت انتباه القارئ في هذه الرحلة أن صاحبها مهتم بالأنسجة الحريرية وأباريق الشاي والفناجين إلى جانب الصناعات اليدوية ، لكنه لم يجد ما يغريه بشراء هدية لوالدته ، لأن المصنوعات اليابانية لم تبلغ بجودتها المستوى الراقي الذي بلغته الصناعة الأوربية . ومع ذلك ، فهو يتأمل بإعجاب المباني العريقة في المدن التي زارها ويتمنى لو حافظت اليابان على طرازها المعماري الجميل ، فيقول :

« . . ومما يؤسف عليه أن مباني الحكومة الآن كلها على الطراز الأوربي مع كون الطراز الياباني أحسن منه رونقاً وأجمل منظراً ، فإننا رأينا سرايات وقصوراً تابعة

للأمراء والأعيان بالشكل الياباني في غاية من البهجة وتمام الإتقان . . .»

في طريق العودة ، وليكون الختام مسكا ، لا ينسى الأمير أن يشيد بالاستقبال الرسمي الكريم الذي حظي به في روسيا ، مشيرا إلى الدور البارز الذي قام به السفير الروسي في القاهرة . وهو ينهي رحلته بفقرة مفعمة بالبهجة والامتنان من صدق ذلك التكريم ، جاء فيها ما يلي :

« . . وعند مروري عليها وجدتهم قد فاقوا غيرهم في حسن المعاملة وجميل المجاملة ، لأن ما حصل لنا منهم من الإكرام لا يمكن أن تعبر عنه ألسنة الأقلام لأنه لم يحصل مثله في أي دولة من الدول . والذي دعاهم إلى ذلك هو التوصية علينا من سفير روسيا ، كما أوصى غيره من السفارات الأخرى الموجودة بمصر ، ولكن الروسيين قد بالغوا في الترحيب والتكريم والإجلال والتعظيم إلى حد قد بلغ في الغاية ووصل إلى النهاية . . .»

الوجه الآخر

ربما كانت «الركشة» من أغرب المشاهد التي تبدو في شوارع اليابان وبين معالمها السياحية في تلك الفترة من أوائل القرن العشرين ، وهي عربة ذات عجلتين يجرها رجل وتستخدم لنقل شخص من مكان إلى آخر ، كما تفعل سيارات الأجرة في يومنا هذا . الأثر الجارح الذي تتركه هذه العربة في نفس الزائر أنها من مظاهر العبودية وآثارها المهينة الباقية في ذلك المجتمع . ومما يلفت النظر أن ذكر «الركشة» لم يرد في رحلة الجرجاوي سنة 1906 ، وإن كانت موجودة ، كما أنها لم ترد في رحلة محمد ثابت سنة 1932 . كانت هذه العربة وسيلة الانتقال الوحيدة التي استخدمها محمد علي داخل مدن اليابان ، ويكفي هنا أن أذكر الحادثة الآتية :

كان هناك نوع آخر من وسائل النقل تشبه المحفة الرومانية يحملها أربعة من الرجال ، وقد قام الأمير محمولا في تلك المحفة بزيارة معبد يقع على قمة جبل في جزيرة مياجيما صاعدا 20 ألف درجة على أكتاف الرجال! كيف احتمل السائح الكبير ذلك دون أن يبدي أي تعاطف أو شفقة على أولئك الرجال البائسين؟!

من مرارة السخرية أننا نراه يشكو من سوء تصرف هؤلاء الرجال ، وكأنهم آلات أو مطايا وليسوا من البشر!

والمسألة السلبية الأخرى التي يلحظها القارئ وقد تثير استغرابه أن الرحالة لم

يصادف عربيا واحدا طوال الرحلة ، وربما كان غير معني بذلك ، بينما نراه يبدي اهتماما بالغا بزيارة السفير البريطاني وزوجته في طوكيو . ولعل مسؤولية هذا الشأن لا تقع على عاتق الأمير ، لكنها تلقي الضوء ، ولو بصورة غير مباشرة ، على أحوال البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية في ذلك العهد ؛ ومن أبرز سمات تلك الأحوال غياب العلاقات الدبلوماسية بينها وبين اليابان ، رغم الإعجاب الشديد الذي عبر عنه شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته «غادة اليابان» التي تغنت بها أجيال عدة من أمة العرب .

مشكلات اللغة

المشكلة الأساسية التي واجهتني في تحرير هذه الرحلة برزت في تدقيق أسماء الأمكنة وإزالة الالتباس في لفظها وكتابتها ، بدءا من المحطات الروسية التي يمر بها الخط الحديدي العابر سيبريا وحتى منشوريا ، مرورا باليابان وكوريا . فالرحالة يعمل على تعريب الأسماء نقلا عن الفرنسية أو الألمانية في الغالب ، وأحيانا يعتمد على السمع الملتبس . وعلى سبيل المثال ، (كاوا) Kawa معناها (نهر) في اليابانية ، وهي ترد في النص وفق اللفظ الفرنسي (كافا) مما يؤدي إلى مزيد من الالتباس . ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الرحلة جاءت في فترة مبكرة ، وقد تعرضت بعض الأسماء أو كثير منها للتغيير ، إما بسبب الثورة البلشفية في روسيا ورديفتها الماوية في الصين ، أو بسبب حربين عالميتين كان لهما تأثيرهما البالغ في الجغرافيا السياسية لتلك البلدان ، فضلا عن كوارثهما في الطبيعة والبشر .

وإذا كان من اليسير تصحيح الأسماء المتعلقة باليابان بسبب إلمامي باللغة اليابانية ومعرفتي بجغرافية تلك البلاد ، فقد بدت المشكلة عسيرة في ما يتعلق بالأسماء الروسية والكورية والصينية . من أبرز المراجع التي اعتمدت عليها في تحرير الأسماء وتدقيقها معجم (وبستر) والموسوعة الجغرافية (إنكارتا) ، لكنهما لم يفيا بالغرض المطلوب ، وبخاصة أثناء متابعة عشرات المحطات الواقعة على الخط السيبري . وكان موقع google على الشبكة العالمية مرجعا متميزا زودني بالكثير من الروابط الفرعية المشتملة على خزائن من المعلومات عن الأسماء ، موضوع البحث ، ومقارنتها بنظائرها في المراجع الأخرى .

وتجنبا لما يثيره حرف G من التباس بين لفظ الجيم في مصر ، ولفظه في البلاد

العربية الأخرى ، فقد أثبتُّ الجيم مقابل J ، والغين مقابل G . وهناك التباس آخر متعلق بحرف (السين) الذي يتحول أحيانا إلى (زاي) على ألسنة البريطانيين والأميركان . إن اليابانيين ، على سبيل المثال ، يلفظون مدن (أوساكا) ، (ناغاساكي) ، (شيمونوسيكي) هكذا بالسين ؛ لكنها ترد في النص (أوزاكا) ، (نكزاكي) ، (شيمونوزيكي) وكأن اللسان العربي عاجز عن لفظ السين . لذلك آثرت أن أكتب أسماء المدن والمواقع اليابانية كما يلفظها أبناء تلك البلاد . وحسبي هنا أن أشير إلى أني قمت بوضع جميع الحواشي والشروح ، وكان الدافع إلى استعمال الحرف اللاتيني إلى جانب العربي في تدوين الأسماء انطلاقا من الرغبة بتوخي الدقة في اللفظ وتجنب حركات التشكيل التي لا تظهر واضحة في الحاشية ، نظرا لصغر الحرف .

ثمة ملحوظة أخرى متعلقة بفن الكتابة . يبدو أن أسلوب الرحالة في هذا النص مختلف عن أسلوبه في تدوين الرحلات الأخرى كالشامية والأميركية ، وهذا يوضح ما أورده عنه خير الدين الزركلي في (الأعلام) إذ يقول : « . . وكان يكتب «مذكرات» موجزة عن مشاهداته في رحلاته ، ثم يعهد بها إلى بعض الكتاب فيصوغونها ويضيفون إليها ما يتصل بها من مقتبسات ومترجمات . . .» وربما بدا حرف (قد) الذي يكثر الكاتب من استعماله في هذا النص ، بعيدا عن أي مسوغ فني أو دلالي ، مثالا على الحشو الزائد عن الحاجة في أغلب الأحيان ، كما في المقتبس العشوائي التالي :

« . . ومن هناك قد توجهنا إلى رؤية السراي الملوكية ، ولما قربنا منها قد رأينا في طريقنا عدة نقط عسكرية في محال قد خصصت بهم . . .»

ولا أنكر أن الرغبة راودتني لحذف هذا الحرف المحشور في غير محله ، حرصا على سلامة التعبير وسلاسته ، لكن الأمانة العلمية فرضت علي الالتزام الشديد بترك النص على حاله كما ورد في الأصل . ومما يؤكد الاعتماد على الترجمة إيراد فقرات الاحتفال الديني في مدينة نكُو بالتفصيل ، إضافة إلى ما جاء في ختام الرحلة من بنود المعاهدة التي أبرمت بين روسيا واليابان ، إذ وردت بكامل موادها . ولعل الدافع الوطني هو الذي أملى عليه ذلك ، وهو يتطلع بأمل مكتوم إلى اليوم الذي تتحرر فيه مصر من السيطرة البريطانية باتفاقية مشابهة ، وإن لم يشر إلى ذلك بأي تلميح .

لم يكن لهذه المتاعب والمعوقات التي واجهت المحرر أن تؤثر على أهمية الرحلة ،

ولن تخفف من متعة قراءتها ومتابعة فصولها والتنقل مع الرحالة من مكان إلى آخر ، وبخاصة أنها حدثت في أيام مختلفة عن يومنا هذا . إن قلة الكتب والمعلومات المنشورة في البلاد العربية عن بلدان الشرق الأقصى ، ولا سيما اليابان ، تضفي مزيدا من المعرفة التاريخية والقيمة العلمية على رحلة الأمير هذه . والطريق الطويل المحفوف بالمتاعب والأخطار ، الذي سلكه في عبور سيبريا ، جعله يرى قوافل المنفيين إلى صحارى الجليد قبيل الثورة والقضاء على النظام القيصري ، لكنه يسميهم «مهاجرين» . فهل كان يحسبهم فعلا مهاجرين يبحثون عن عمل ، رغم علمه واطلاعه الواسع على أحوال عصره ، أم أنه كان متعاطفا مع القياصرة ، انطلاقا من حرصه على توافر الأمن والانضباط ، ووقوفه ضد كل إخلال بالنظام ، مهما كان سادة ذلك النظام طغاة ظالمين؟

هذا التساؤل نتركه للتاريخ . يكفي هنا أن نرافق الرحالة في تجواله ونتابع بتأمل ممتع ومفيد ملامح تاريخية وجغرافية وحضارية من تلك البلاد الواقعة على حافة آسيا الشرقية ونستعرض معه أحوال شعوبها ، وبذلك نعيش تلك التجربة من جديد ونعطيها شيئا من حياتنا وأفكارنا ومشاعرنا مثلما أعطتنا الكثير من وقت الكاتب واهتماماته ومشاهداته . وإذا كان كل عمل لا يخلو من عثرات وأخطاء ، فإن تبعة كل تقصير تقع على كاهل المحرر وحده . ويظل القارئ الجاد هو المعلِّم والحكَم والمآل .

علي كنعان

أبو ظبي في 24 /2003/10



مسار الرحلة

الإسكندرية	Alexanderia
تريستا	Trieste
فيينا	Vienna
في روسيا	
موسكو	Moscow
بنزا	Penza
ياكوبووا	Yakupova
أوفا	Ufa
نهر الأورال	Ural
صليابس (تشيليابينسك)	Chelyabinsk
كورغان	Kurgan
أومسك	Omsk
نيكولايفسك (نوفوسيبرسك)	Novosibirsk
كراسنويارسك	Krasnoyarsk
إركوتسك	Irkutsk
بحيرة بيكال	Baikal

أودتسك (أولان أودي)	Ulan-Ude
بورياتسكايا	Buryatskaya
يوكيدون	
سيسيكار (تشيشيهار)	Qiqihar
خاربين (هاربين)	Harbin
أنجو	
نيكولايفسك	
نوكستوك	
فلاديفوستوك	Vladivostok
(عبور بحر اليابان) في اليابان	
تسوروغا	Tsuruga
مايهارا	Maihara
بحيرة بيوا	Biwa
جبل فوجي	Fuji-san
يوكوهاما	Yokohama
طوكيو	Tokyo
نِكُّو	Nikko
طوكيو	Tokyo
ناجويا (ناغويا)	Nagoya
كيوتو	kyoto
أوساكا	Osaka
كوبه	Kobe
هيروشيما	Hiroshima
مياجيما	Miyajima
شيمونوسيكي	Shimonoseki

طريق العودة
(عبر بحر اليابان)

في كوريا	
فوزان (بوسان)	Pusan
تيكو (تيغو)	Taegu
سيكوان	
سويجن	
سيول	Seol
نيوريجي	
(عبور) نهر يالو	
أنطونج (في منشوريا)	Antung
أنطنيخ	Tongyuan-pu
موكدن	Mukden (Shenyang)
شانشون	Changchun
خربين (خاربين)	Harbin
. . . فإلى موسكو	Moscow

نص الرحلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الآمر بالسير والنظر، المعين في الحضر والسفر، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، المنزل عليه في الكتاب المبين ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[2] وعلى آله وأصحابه الذين أكثروا الأسفار، ودوّنوا الأخبار، ومصروا الأمصار في سالف الأعصار. (وبعد) فإن الله جلت قدرته، وتعالت عظمته، قد خلق الأرض وقدر فيها أقواتها، وأوجد الأمم وحبّب إلى كل أمة عوائدها وأخلاقها، ورغبها في جوها ومهادها، ولغتها وبلادها. وجعل الناس مختلفي الأشكال والطباع، كما خالف بين ما وجدوا فيه من البقاع. ولكنهم مهما اختلفوا في المشارب، وتفرقوا في الملل والمذاهب، فإن رابطة الإنسانية تجمعهم، والأبوة الآدمية تقربهم وتشملهم، والمزاحمة في طلب الرزق هي التي يتسبب عنها ما بينهم من الخلاف أو الوفاق، فحب الاختصاص يفرّقهم وضرورة المساعدة تجمعهم، لأن كل فريق من سكان الأرض يحتاج بعضه إلى بعض كما

(2) الأنعام : 11

قيل :

النـاس للنـاس من بـدو وحـــاضـــرة
بعض لبـعض وان لـم يشـعـروا خـدم[3]

ولكن ، لما كان حب الأوطان طبيعة مفطورا عليها الإنسان ، وجب على العاقل أن يطوف في بلاد الله ما استطاع ، ويرى كثيراً من الأمكنة والبقاع ، ويعرف ما لكل من العوائد التي يترتب عليها جزيل الفوائد . وإذا رأى أن جهة من الجهات أكثر ثروة ، وأعظم من أمته قوة ، بحث في أسباب ذلك بحث المدقق الخبير ، وعرفه معرفة الناقد البـصـيـر ، حـتّى إذا عـاد إلى عطنه[4] ، عـرف ذلك إلى أهل وطنه . وإذا رأى أمـة مضـمحـلاً حالها كـاسفـا بالها ، عـرف أسبـاب ذلك الكسـاد ، وما يتـرتـب عليـه من مضرات العباد ، وحذر من ذلك أهل بلاده ، بقدر استطاعته ومبلغ اجتهاده . ويكون إذا أخبر بشيء مخبراً عن مشاهدة وعيان ، لا عن تخمين وحسبان ، فيحصل بذلك على فوائد جليلة ، ومزايا جزيلة ، أهمها منفعة وطنه الذي فيه رُبِي وببحبُوحةِ فضله حُبِي ، والفوز برضا الله ومزيد ثوابه بنفعه للبلاد وخدمته للعباد . وأحب عباد الله إلى الله أنفـعـهم لعـبـاده ، وزيادة علمـه واتعـاظه بأحـوال الناس وتبـاين طبـاعـهم وأخلاقهم ، واطلاعه على كثير من الأسرار الإلهية المكنونة ، والقوانين المدبرة المصونة التي دبر الله بها شؤون المخلوقات ، وأحكم بها نظام الكائنات . فمن وقف على سر صنع الخالق زاد في تعظيمه ، وعكف على إجلاله وتكريمه ، وتقرب إليه بامتثال أوامره ونواهيه ، واعتصم بحبل حبه ومراضيه . إذ كلما انكشف الغطاء ، وجلا نور العلم غياهب الظلماء ، انكشفت أسرار الأشياء ، فيزيد الإنسان في تعظم[5] مودعها ، ويجتهد في التقرب إلى مبدعها . ومن سافر واطلع على غير بلاده ، كان كمن عاش زيادة على عمره ، وشهد عصره وغير عصره ، لأنه علم بالمشاهدة والأسفار أضعاف ما يمكن أن يعلمه بالإقامة ومطالعة الأخبار . وذلك علمه بالمشاهدة والنظر ، وهذا علمه بالسماع والخبر ، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ، ولا يمكن حصرها ولا تستقصى . ولا يخفى على ذوي الألباب كثير مما وقع للأنبياء والمرسلين ، والصحابة

---

(3) أبو العلاء المعري .

(4) العطن : مبرك الإبل ، وقد اختارها الكاتب لاستكمال السجع .

(5) الصحيح : تعظيم

والتابعين ، والعلماء ، والعظماء ، والصالحين من التنقل والأسفار للقرى والأمصار ، وما جاء في الكتاب العزيز ووردت به الأخبار من الحث على السير في الأرض للنظر والاعتبار .

ولما كان لا يمكن كل واحد من الناس أن يسير في الأرض ويتجول في طولها والعرض ، لموانع تمنعه من الأسفار ، وبواعث تلزمه بعدم مبارحة الديار ، نصب كثير من الفضلاء أنفسهم للسير في البلاد لمقاصد جليلة أهمها منفعة العباد ودوّنوا الرحل المفيدة في الجهات العديدة ، فمن طالعها فكأنما شاهد ما شاهدوه من المشاهد ، واطلع على ما رأوه من الآثار والمعاهد . ولذلك قد رأيت أن أقيد رحلتي إلى اليابان ليطلع عليها كل إنسان ، خدمة للإنسانية أؤديها ، وهدية للمسترشدين من بني الاوطان أهديها ، وأسأل الله دوام التوفيق ، والهداية لأقوم طريق .

مبدأ السفر

إني كنت قد عزمت على السفر إلى بلاد اليابان من مدة ، وكان العزم على الارتحال إليها في الوقت المناسب لذلك ، قبل هطلان الأمطار بها . وكان هذا يستدعى أن يكون السفر إليها في أول شهر مايو[6] . ولكن لما حصلت الحوادث التي حصلت باسلامبول[7] كان ذلك باعثاً على التأخير ولم نتمكن من السفر إلا في أول شهر أبريل[8] . فنزلنا من الإسكندرية متوكلين على الله تعالى ، وركبنا متن البحر في الباخرة النمساوية المسماة (الليد) فأخذت تشق بنا عباب البحر حتّى وصلنا بحفظ الله تعالى وحسن رعايته إلى (تيريستا)[9] بعد ثلاثة أيام ونصف يوم ، ومنها ركبنا وابور البر[10] ليلاً ، ولم نزل سائرين حتّى وصلنا صباحاً إلى (فينا) عاصمة النمسا . وقد مكثنا بها يومين لأجل أخذ التذاكر اللازمة لنا والتوصية على حفظ أماكننا

(6) الصحيح هنا : أبريل بدلا من مايو .

(7) الإشارة هنا إلى خلع السلطان عبد الحميد .

(8) الصحيح : مايو . انظر هامش (5) .

(9) Trieste : ميناء إيطالي في شمال شرق إيطاليا .

(10) وابور البر : القطار ، للتمييز عن ابور البحر : السفينة . وكلمة (وابور) : تعريب حرفي لكلمة Vapor أو Vapeur : بخار .

بواسطة شركة كوك . وبعد إقامتنا مدة هذين اليومين وحصولنا على الغرض المقصود من الإقامة بها ، قد برحناها ليلاً متوجهين إلى بلاد الروسيا . وبعد مضي يوم وليلتين من سفرنا هذا قد وصلنا إلى مدينة (موسكو) وكان ذلك قبل قيام (الترنسيبريان)[11] وابور سكة الحديد السبيرى[12] .

ولم نرد أن نتكلم على هذه الطريق لكونها معروفة بين الأنام مطروقة للخاص والعام . وقد جعلنا مبدأ الكلام في رحلتنا هذه من بعد الوصول إلى موسكو ببلاد الروسيا وفي الساعة العاشرة الإفرنجية ليلاً ، قد حملت عربة الفندق أمتعتنا إلى (إركتسك) بموسكو التي بينها وبين الفندق عشرون دقيقة بالعربة ، وقد توجهنا إليها بعد ذلك أيضاً . وكانت هذه الليلة ممطرة مطراً شديداً . ولما وصلنا إلى المحطة وجدناها في غاية من الازدحام ، ووجدنا الترجمان الذي كان ملازما لنا بموسكو في انتظارنا . وبمجرد وصولنا إلى القاطرة ، توجهنا سريعاً لتفقد أماكننا التي وصينا عليها لنعلم إن كانت محفوظة لنا أم لا ، فرأينا أن خدام القطار لكثرة أسئلة الناس لهم وشدة اشتغالهم بأعمالهم مع الازدحام الكثير لا يكادون يتملكون الرد على أحد من السائلين . فلما رأيت في ذلك اضطررت للتكلم مع ناظر المحطة وشاب لشركة عربات النوم فأجابا إلى ذلك بكل أدب واحترام ، ولطف وابتسام ، وساعدانا على ذلك فاهتدينا إليها بدون أدنى تعب ولا مشقة ، بعد ما كانت بعدت علينا في معرفتها المشقة . ووجدنا أن عربات النوم الموجودة بهذا القطار كسائر عربات النوم التابعة لهذه الشركة بأوروبا ، ولا تفترق عنها إلا بالاستضاءة والأنوار الكهربائية ، فإن في عربة منها بطريات كهربائية تضيء سائر العربات . وفي كل عربة خادم كالعادة لكنه يحسن التكلم مع الركاب باللغة الفرنسية ، والإنجليزية ، والألمانية . وقد تحرك القطار من هذه المحطة الساعة الحادية عشرة ونصفا[13] على حساب ساعة (سمترسبرغ)[14] الموافقة للساعة الثانية عشرة ببلاد المسكوف . وحيث إن هذا هو المبدأ الحقيقي للسفر الطويل الذي قد عزمنا عليه ، فقد توكلنا عليه تعالى والتجأنا إليه أن يلحظنا بعين

---

(11) Transsiberian Railway الخط الحديدي عبر سيبريا .

(12) السيبري .

(13) والنصف .

(14) لعل المقصود مدينة سان بطرسبورغ St. Petersburg .

عنايته ، ويكلأنا بالليل والنهار بحسن رعايته ، ويمدنا بروح منه حتّى نقوى على تحمل مشاق السفر ونأمن من غوائل الخطر .

ثم لما كانت عادتي أن أنام في أوائل الليل ، توجهت إلى المحل الذي أعدّ لي ودخلته ونمت فيه طالباً من الله أن يحرسني بعينه التي لا تنام متيمناً بقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه»[15] وقضيت ليلتي هذه بحمد الله على أحسن حال ، وأجمل مثال . ولما أصبح الصباح توجهت إلى المحل المعد للماء فلم أجد به ماء فاضطرتني الحالة للبحث عنه ، ولم أزل كذلك حتّى اهتديت إليه وأجريت ما هو لازم من وضوء وغسل ولبست ملابسي وصليت . ثم توجهت إلى عربة الأكل فوجدتها كسائر عربات الأكل المعروفة ممتعاً النظر برؤية المزارع المجاورة للسكة الحديدية يميناً وشمالاً ، فوجدتها أحسن من المزارع التي رأيتها بقرب موسكو بكثير . وكان يلوح لي أن الزرّاع رجال يحبون العمل ، ولا يميلون إلى البطالة والكسل ، وهم يتولون أمر زراعتهم بأنفسهم ولا يشركون معهم نساءهم في أمرها أو يتركونها لهن ، كما هو شأن كثير من الجهات ، وأن الأراضي بهذه الجهة مستوية ، صالحة للزراعة جيدة التربة ، خالية من الغابات والمستنقعات ، فضلاً عن كون الأشغال العملية تكسبها قوة وتزيدها استعداداً . ثم إني أخبرت أن الوابور به ثمانون سائحاً مختلفو الأجناس وأغلبهم قاصد الصين أو اليابان . وكان بالقطار أحد المفتشين ، فلما أخبر بعدم وجود الماء ببعض محاله نبه على إصلاح مواسير المياه ، حتّى صار الماء موجوداً بجميع مواضعه ، فسررت بذلك حيث إن وجود الماء قريباً منا يسهل لنا تناوله بدون مشقة في جميع الاحتياجات التي تدعو إليه .

وبعد الظهر من هذا اليوم قد تقابلنا مع الوابور (الترنس سبريان) القادم من الصين واليابان إلى (السويد) بمحطة صغيرة ، وصار اليابانيون الذين معنا فرحين بمقابلة أبناء جنسهم وأخذوا يتبادلون التحية والتسليم ، والتعظيم والتكريم . وبعد ذلك قد وصلنا إلى محطة جميلة البنيان مشيدة الأركان تسمى (بنزا)[16] وبقي الوابور سائراً بنا بقية اليوم في أرض مستوية ، والمزارع الكثيرة النضرة ، والمراعي الجميلة الخضرة ، تحف السكة الحديدية من جهتيها حتّى كأن الوابور سائر في رياض زاهرة ،

---

(15) حديث شريف رواه أبو هريرة .

Penza (16)

ومروج باهرة .

وعند غروب الشمس قد وصل بنا القطار إلى أرض كثير الغابات الطبيعية وبتنا ليلتنا هذه في صحة تامة ، وراحة عامة ، ولما أصبح الصباح أصبحت السماء مصحية والهواء في غاية الاعتدال .

وفي الساعة الثامنة صباحاً قد تقابلنا بقطار مهاجري المسكوف[17] الذين يهاجرون إلى (سبريا) بعد أوان ذوبان الثلج ودخول الوقت الذي تكون أرضها فيها صالحة للزراعة الصيفية . وإن الحكومة الروسية تبذل غاية جهدها في مساعدة أمثال هؤلاء المهاجرين ، لأجل استعمار هذه الأراضي الواسعة الأنحاء البعيدة الأرجاء ، حتَّى يتسع بها العمران ، وتكون عونا لها في مستقبل الزمان . وهكذا جرت عادة جميع الممالك الراقية تسعى في اتساع العمران ، ومساعدة بني الاوطان ، حتَّى تصل إلى أعلى درجات التقدم والحضارة ، وتكون جديرة بالعظمة والامارة .



عبر جمهورية بشكير

وفي الساعة الحادية عشرة قبل ظهر ذلك اليوم قد مررنا على مراع واسعة جرت العادة أن يكون في مثلها كثير من أنواع الماشية ، ولكن لم يكن فيها سوى الخيل .

وقبيل الساعة الثانية عشرة قد وصلنا إلى محطة (ياكوبووا)[18] ولما وصلنا إليها رأينا بهذه البلدة جامعين إسلاميين ، وهذان الجامعان يدلان دلالة واضحة على أننا قد دخلنا بلاد التتار ، ولم يمض على ذلك مدة إلا وقد رأينا كثيراً منهم فتحققنا ذلك وسررنا سروراً كثيراً لما رأينا أراضيهم مشغولة بالزراعة ومخدومة خدمة جيدة تدل على أن لهم دراية وعناية بالزراعة ، وأن عندهم نشاطاً ومحبة للعمل ، وكراهة للتقاعد والكسل ، وقبل غروب الشمس قد وصلنا إلى (أوفة)[19] وهي بلدة كبيرة موضوعة على تل مرتفع وتحت هذا التل نهر متفرع من نهر (أورال)[20] وللوصول إليها قد

---

(17) المسكوف (في الكتابات العربية) : أبناء موسكو أو الروس بوجه عام .

(18) Yakupova

(19) Ufa

(20) Ural

اضطرتنا الحالة إلى المرور على كبري[21] كبير ، وبعد المرور عليه قد وجدنا معامل كثيرة ، ومصانع شتى مكتوباً عليها أسماؤها بحروف عربية وكان الوقوف في هذه المحطة نصف ساعة ، وفي أثنائها قد اشترينا أوراق بريد عليها مناظر جميلة .

ووقت الغروب كان المنظر جداً يحار في وصفه الكتاب ويدهش من حسنه الألباب ، ويا حبذا لو وجد شاعر ماهر ، ووصف تلك المناظر ، وذلك لأن البحر قد حصل فيه مد حتّى دخل فيه كثير من الأشجار والأعشاب التي كان لظلها شكل على الماء في غاية من حسن الرواء ، وانعكاس احمرار الشفق وزرقة السحاب يكسبان لون البحر طلاوة ، ويزيدان بهجة وحلاوة ، فكان ذلك المنظر من أحسن ما يشرح الخاطر ، ويقربه الناظر . وبجوار هذه البلاد غابات كثيرة ، ومروج شهيرة .

وقبل زوال الشفق ودخول الظلام ، قد رأيت لأول مرة إبلاً من إبلهم فوجدتها لا تختلف عن الإبل العربية إلا بطول وبرها وكونها ذات سنامين ، وقد عوّدوا هذه الإبل على جر عربات الحمل المثقلة ، ولا يحملون على ظهورها كالعادة العربية ، والذي سهل لهم هذا هو اعتدال الطرق واستواؤها بخلافها في بلاد العرب ، لكثرة صخورها وتلالها ، ونجودها وهادها ، ولذلك امتن الله بها فقال : ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾[22] وهذه الجهات فيها بلاد كثيرة ، وقرى متقاربة ، ولذلك تكثر فيها السكان في كل مكان . وفي هذه البلاد مساجد كثيرة أيضاً تشبه مساجد تركية ، غير أن الجزء الأعلى من منارتها مصنوع من النحاس المطلّي بالذهب ، وينتهي من أعلاه بهلال كذلك ، ولذلك يرى بريقها من مسافة شاسعة .

وفي هذا اليوم قد مررنا على جملة قطارات مملوءة من المهاجرين إلى سبريا .

وفي اليوم التالي لذلك اليوم قد استمر الهواء معتدلاً ، وبقيت السماء مصحية . وغاية الأمر أن البرد قد اشتد قبيل الفجر ، ولكن بمجرد طلوع الشمس صار الهواء في غاية الاعتدال ، وكسيت المناظر أبهى حلل الجمال ، وصار القطار يمر بنا مر السحاب . وكم مررنا على مناظر جميلة تدهش بحسنها الألباب ، وفي أثناء سيرنا كنا نمر أيضاً على بلاد كثيرة بوسط غابات غزيرة . وهي موضوعة فوق تلال مرتفعة ، وأكمات مجتمعة تسر النفوس من حسن رؤيتها ، وتبهج القلوب بجميل بهجتها . وهذه البلاد

---

(21) كبري (من التركية : Kopru) جسر .

(22) النحل : 7

تشبه بلاد سويسرة لما كسيته من حلل الجمال الطبيعية والحالة البديعة الوضعية . إلا أنه يظهر علينا أنها ، وإن كانت في الصيف متمتعة بجودة الهواء وعذوبة الماء ونضرة الأشجار وأرج الأزهار ، فإنه لا بد وأن تكون في الشتاء كثيرة البرد والثلج صعبة المعيشة . ويكون أهلها في غاية من الضنك والضيق ، لا يملكون ما يقوم بضرورياتهم ويكفي لاحتياجاتهم . وبعد الظهر قد مررنا على بلاد في أرض مستوية ، وبها بعض مستنقعات ومزارع كثيرة ، وسرنا بجوارها مدة كبيرة . وقد مررنا على كثير من المحطات الصغيرة ، ورأينا جملة قطارات تحمل كثيراً من المهاجرين .

وهؤلاء المهاجرون ، وإن كانت حالتهم يظهر عليها الفقر والفاقة ، إلا أنهم لا يكترثون بما هم فيه بل يظهرون الفرح والسرور والبشر والحبور ، ويظهر ذلك من ملاعبتهم لأولادهم ، وملاطفتهم لنسائهم . وفضلاً عن ذلك فأنك تراهم عند وقوف القطار في أي محطة مشغولين باللهو والطرب .

وفي الساعة العاشرة صباحاً وصلنا إلى محطة (صليابس)[23] وقد مر بنا قطار كبير مملوء بالمهاجرين ، وكان معهم حرس من العساكر لأجل الحفظ ومنع ما عساه أن يقع منهم وقد أردت أن أخذ صورهم فأخبرت أن ذلك ممنوع في ببلاد سبريا .

وفي الساعة السادسة بعد الظهر من ذلك اليوم قد وصلنا إلى (جورجان)[24] وهي بلدة كبيرة لكنها أصغر من أوفا وهي واقعة في أرض مستوية ليس بها غابات ولا تلال .

ولي العهد القيصري

وفي اليوم التالي لذلك اليوم وصلنا إلى (أومسك)[25] وكان ذلك اليوم شديد البرد ، وقد انضم لقطارنا بهذه المحطة عربة صالون لخدمة دولة الغراندوق (قونستانتان)[26] ، وكان معه جنرالان وأميرالاي وجملة من الضباط المستخدمين

---

(23) لعل الصحيح : تشيليابنسك Chelyabinsk لأنها المحطة الوحيدة المذكورة بين أوفا وكورغان .

(24) كورغان Kurgan

(25) Omsk في هذه المدينة يلتقي الخط القادم من بريست عبر مينسك وموسكو بالخط القادم من هلسنكي عبر بطرسبورغ .

(26) Grand Duke Constantine Nicholaievich

بحكومة سيبريا الذين كانوا يلازمونه لآخر مراكزهم . وكانت المحطة مزدحمة ازدحاماً كثيراً . وقد وافق ذلك اليوم يوم الأحد الذي يتفرغ فيه الناس من أعمالهم ويستعدون للتنزه والتفسح . وبوصولنا إلى هذه المحطة ، وجدنا العساكر قد أحاطوا بالقطار من كل جانب للمحافظة ومنع الناس عن كثرة الازدحام تجاه القطار ، مخافة حصول أي أمر كان . وكانت عساكر (الجندرمة) في غاية من حسن الهيئة وتمام النظام . ولما رأى ذلك دولة الغراندوق ، نزل من القطار وتمشى على رصيف المحطة مظهر السرور والبشاشة للوافدين ، وقابلهم بكل احترام . وهو قوي الشبه للعائلة الملوكية الروسية ، طويل القامة ، نحيف الجسم ، طويل الأنف كسائر عائلة رومانوف . ثم ركب القطار وسرنا بعد أن حيته الجماهير بالتحية اللائقة به والدعاء ببقائه . وكنا نمر في هذا اليوم على بلاد قليلة السكان ، وأغلب أراضيها مستنقعات على قدر مد البصر . وفيها كثير من الطيور المائية المغرّدة التي تطرب المسامع ، وتشجي بحسن صوتها السامع .

وبعد ظهر ذلك اليوم قد ابتدأ ظهور الغابات الكبيرة ولكنها متأثرة من شدة البرد ، وفي أراضي هذه الجهة أيضاً كثير من الأعشاب الطبيعية التي لا تمكن أهلها من الزراعة مع وجودها لكثرتها لا يمكنهم تنقيتها منها ، ولذلك يحرقونها لأجل خلو الأرض منها وجعلها صالحة للزراعة ، وأهالي هذه الجهة يلبسون على رؤوسهم قبعات من الفرو إلا أنهم يجعلونها كبيرة جداً لتقيهم من شدة البرد .

وعند الغروب قد وصلنا إلى (نيكولا يفسك)[27] وهي بلدة كبيرة موضوعة على شاطئ نهر كأغلب بلاد سيبريا ، وهذا النهر واسع يشبه في سعته نهر النيل بجوار قصر النيل ، وفيه كثير من المراكب الشراعية والبواخر البحرية ، وقبل الوصول إليها قد مررنا على كبري موصل لها ، ولما وصلنا إليها رأينا كثيراً من المستخدمين ، وأعاظم طبقات الناس في انتظار الغراندوق ، والكل يظهر عليه علامات الفرح والسرور ، وقد علمت أنه محبوب لديهم كثيراً أكثر من سواه ، وذلك لإخلاصه في خدمة أمته ، وسهره على منفعة بلاده ، ورأفته بهم وإحسانه إليهم ، وهكذا جرت عادة الله في خلقه أن الإحسان يستعبد به الإنسان كما قيل :

---

(27) لم أعثر على هذه المحطة ، فلعلها نوفوسيبيرسك Novosibirsk القريبة من أومسك والواقعة على نهر أوب .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسانُ[28]

وكان يرافق القطار قومندان المركز العسكري وأحد مفتشي السكة الحديدية .

وفي اليوم التالي كان البرد شديداً والهواء كثيراً ، وقد صحب هذا الهواء قليل من المطر ، وقد ابتدأت هذه الحالة من نيكولا يفسك لما دخلنا وسط الغابات الكبيرة ، وقد أخذ الجو في الاعتدال ، والمطر في القلة إلى أن تلاشى . وصفا الوقت وانكشف السحاب في الساعة العاشرة ، وكان المنظر جميلاً بالنسبة لبقاء الثلج المفكر بالشتاء ، ووجود أشجار كثيرة من أنواع مختلفة ، ولم نزل سائرين طول اليوم في غابات كبيرة . وبعد الظهر قد تأملت فوجدت القطار يسير صاعدا في مرتفع من الأرض ، ولذلك كان سيره في غاية البطء ، حتّى إن الراجل ربما يمكنه أن يسير معه . وقد شاهدت تجار الأعشاب يقطعونها بالطرق القديمة المعروفة ، ويحملونها على عربات متخذة من أعواد الخشب ، تزحلق على الأرض اللينة بدون عجل يجرها حصان أصغر حجماً من الخيل العربية . وشعر ذيول هذه الخيل ومعرفتها[29] وغرتها طويل جداً ، وبعد الظهر من هذا اليوم صار الهواء معتدلاً والجو صافياً وصار القطار كأنه يسير بنا في لجج من الماء ، وذلك من كثرة الثلج الذي تذيبه حرارة الشمس فيعود ماء ، وفي الساعة السادسة ليلاً قد وصلنا إلى (كراسنيوارسك)[30] . ولما وصلنا إليها رأينا المدير وكبار المستخدمين ينتظرون بالملابس الرسمية ، والازدحام شديد من كثرة الوافدين من الأهالي وغيرهم لرؤية الغراندوق . وهذه المديرية لها مدير يحكم على البلاد الموجودة على شواطئ نهر شيانشان[31] وهي تساوي حكومة فرنسا ثلاث مرات في أراضيها لا في سكانها . وهذا النهر أكبر من النهر السابق وأوسع منه ، وأما الكوبري فإنه كان جارياً فيه العمل ولم يتم نظامه ، ولذلك كان المرور عليه بتكلف . وكان في هذا النهر كثير من الأوز البري الذي ليس مملوكاً لأحد .

وفي اليوم السادس قد تراكم المطر واشتد الهواء والبرد . وكان سيرنا في غابات

---

(28) الشاعر أبو الفتح (علي بن محمد) البستي (ت : 1010م)

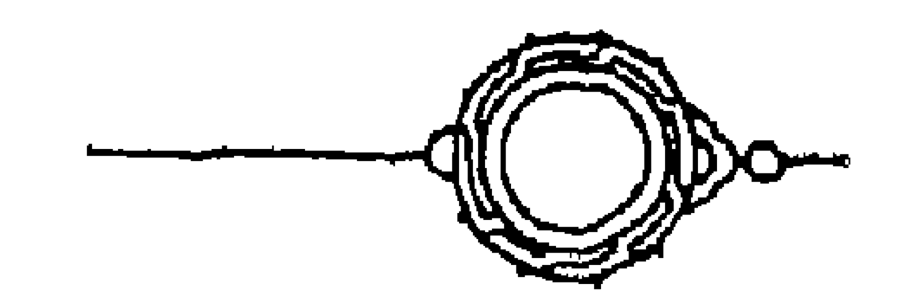
(29) الصحيح : عرف (بضم العين) وجمعها أعراف : شعر أعناق الخيل .

(30) الصحيح : كراسنويارسك Krasnoyarsk

(31) مدينة كراسنويارسك تقع على ضفة نهر يينيسي Yenisei ، Yenisey .

كثيرة وأشجار كبيرة ، وكانت هذه الأشجار على عظمها مجردة من الأوراق ، يظهر عليها التأثر من شدة البرد . وكنا نرى كثيراً من هذه الأشجار محترقاً ، وقد سألنا عن السبب الذي أوقع هذه الأشجار في العطب ، وكيف وصل إليها هذا الحريق ، فأخبرنا أحد السائحين أن هذا الحريق يحصل من تطاير الشرر أثناء سير القطار ، مع يبوسة الشجر وشدة حر الصيف ، فتصير محترقة كما ترى ، فإنه عند شبوب النار بهذه الأشجار لا يطفئها أحد لبعدها عن البلاد ، وقلة وجود المارّ عليها . فكانت هذه الحالة مؤثرة ، حيث إن هذه الأشجار الجملية معرّضة لهذه الآفات الكثيرة ؛ فالذي ينجو من الثلج يحترق بالنار والذي ينجو من الثلج والنار لا ينجو من قطع التجار . وبعد الظهر قد مررنا على أناس يشتغلون بعمل سكك وقناطر لأن أراضيهم فيها كثير من المعادن . وقد أخبرنا أحد السائحين الذين كانوا معنا أن حالة هؤلاء الناس أحسن من فقراء المهاجرين الذين يتوجهون كل سنة إلى أمريكا . وقد دخلنا إلى النوم في أول الليل بالنسبة لكوننا عازمين على القيام في الساعة الرابعة صباحاً لأجل تغيير القطار في إركتسك[32] عاصمة سيبريا . ولذلك قد حصل لنا أرق شديد ناتج عن اشتغال الفكر بالساعة التي يحصل فيها التغيير . ولذلك كان النوم بالملابس المعتادة لأجل عدم العناء في الصبح في تغييرها . وقبل الوصول إلى إركتسك قد رأيت قسيساً في محطة صغيرة بملابسه الرسمية وبيديه صليب ، وصار يحي الغراندوق بهذا الصليب . وقد وصلنا بعد ذلك إلى محطة إركتسك فوجدناها محطة جميلة مبنية بالأحجار ولما وصلنا إليها وجدناها مزينة بالبيارق وغيرها من أنواع الزينة ، ومزدحمة ازدحاماً كثيراً ، وكانت العساكر مصطفة تضرب بالموسيقى ، وذلك ليس لقدوم الدوق فقط ، بل إن هذا اليوم قد وافق يوم ميلاد ولي عهد الروسيا أيضاً ، فكان السرور مزدوجاً والفرح عاماً . وكان منظر هذه المحطة في غاية البهجة والجمال والعظمة والجلال ، خصوصاً لانحصار هذه البلدة في وسط جبال عالية مكتسية بأشجار كثيرة ونباتات طبيعية ذات بهجة . ولم يزل الثلج موجوداً فوق رؤوس هذه الجبال . وهذا الثلج عند ذوبانه يتكون منه عدة أنهر تحيط بالبلدة وتزيدها حسناً وجمالاً ، وبهجة وكمالاً .

Irkutsk (32)



وهذه البلدة أعظم بلاد سيبريا ، وبها آثار جميلة ومناظر كثيرة ، وقد صار التغيير من قطر إلى آخر كان منتظراً بالمحطة ، وذلك لأن حكومة الروس لا تأذن لشركة عربات النوم بالاستمرار في السير أكثر من أحد عشر يوماً . ولذلك قد اضطرتنا الحالة لهذا التغيير . وبعد الخروج من هذه المحطة قد مررنا على كوبري من الحديد موضوع في آخر بحيرة بيكال . وكان المنظر حسناً بالنسبة لوجود عدة جزائر صغيرة كثيرة ، بها أعشاب طبيعية تكسب البحر رونقاً وجمالاً .

ومما رأينا جديراً بالعناية بالذكر أننا مع كوننا كنا في شهر مايو ، كانت بحيرة (بيكال) كلها مثلجة كأنها قطعة واحدة من الزجاج فكأنها مرآة للناظر ، وكان بداخها وابوران محبوسان قد منعهما الثلج عن العبور وعاقهما عن المرور . فإن صيرورة هذه البحيرة العظيمة البالغ قدرها مثل بحر مرمرة ثلجاً وجعلها قطعة واحدة لدليل على قدرة الصانع جل وعلا . وكان سفرنا بقية هذا اليوم ملازماً لشاطئ هذه البحيرة وكان الهواء جيداً ، إلا أن الوابور كان يسير بنا سيراً بطيئا فسألنا عن سبب ذلك ، فقيل لنا إنه خطر الطريق ، وأرونا وابوراً ملقى بجانب الطريق على الأرض ، وعرفونا أن الأرض في هذه الجهة ليست صلبة ، وأن الجبل فوقها ، وكثيراً ما يقع منه بعض أحجار على السكة ، فينحدر القطار ويترتب عليه مثل هذه الأخطار ، وينتج عنه حوادث مثل هذه الحادثة التي مات فيها رجل وجرح سبعة . ومع كون السير كان بطيئا فإنه كان ينهال على الركاب رمل يثيره الهواء مثل الرمل الذي يثار على الركاب الراكبين بقطر السويس . وبقدر ما كان الهواء بارداً في الصباح ، بقدر ما اشتد الحر بعد الظهر حتَّى صار بدرجة لا تقل عن الحر الذي يوجد بقطر مصر بهذا الأوان . ثم أخذ الوابور يسير بنا في جهات خلوية ليس بها أشجار . وبعد عشر ساعات من ملازمتنا لسواحل البحر ، سار بنا في أرض يابسة وغابات محترقة كالتي سبق الكلام عليها . وفي هذا اليوم قد رأيت خادماً من خدام القطار من الصين ، وهو أول رجل قابلته من الشرق الأقصى . وقبيل الساعة السادسة بعد الظهر قد مررنا على كوبري كبير جداً ، ورأينا بحافتيه غابات كثيرة . ثم سرنا إلى أراضٍ مائية وفيها كثير من الغابات ، وفيها خيام نحو الأربعين ، وكلها مرتبة ترتيباً عسكرياً ومحشودة بالعساكر . وبالسؤال عنها أخبرنا أن هؤلاء 54,000 عسكري بفناء بلدة في حدود منشوريا من المسكوف . وهذه البلدة

تسمى (أودتسك)[33] وفيها محطة ، فلما وصلنا إليها رأينا الترتيبات الرسمية وتلاميذ المدارس ذكوراً وإناثاً ينتظرون الغراندوق . فلما وصلنا إلى المحطة أخذوا يهتفون بالدعاء له ولعائلته بالبقاء ، ولذلك قد نزل الغراندوق من القطار وسلم على الراهبات بيده وأظهر لهم البشر والعواطف . وقد صار سيرنا بعد هذه المحطة نحو كيلو متر ونحن بحذاء خيام العساكر البيادة[34] والطوبجية[35] . وكنا كلما مررنا على جهات فيها عساكر يهتفون بالدعاء إلى الدوق عند مرور القطار عليهم ، وبقينا كذلك طوال ليلنا وعند صباح اليوم السابع ، قد أصبح البرد شديداً كالعادة لكنه ليس مصحوباً بمطر ، وفي الساعة الثامنة ونصف صباحاً قد وصلنا إلى شيطه[36] وهي ثاني بلدة عسكرية بمنشوريا 8,000 عسكري من المسكوف ، وفيهم الكوذاك[37] الدون[38] المشهورون بالشجاعة والتجبر والقوّة الهائلة ، ويظهر على أجسامهم الضخامة ، وهم في غاية من حسن الهيئة ، وتمام النظام ، وكان وقوفنا في محطة صغيرة قريبة من محطة العاصمة ، وذلك لأن العساكر كانوا منتظرين الدوق بها .

وأراضي هذه الجهة مستوية إلا أنها قليلة المزارع كثيرة الكلأ والمراعي الطبيعية ، والسكك الحديدية بها منحنية تشبه أنصاف دوائر ، ولذلك قد فكرتنا هذه السكة بالسكك الحديدية التي بالروملي الشرقي للمشابهة التامة بينهما .

وفي وقت الظهر قد تزايدت الحرارة ولما جاء وقت الأكل قد حضر دولة الغراندوق إلى حجرة الأكل العمومية وأكل معنا بكل سرور وابتهاج ولم يظهر عليه ما يفيد أدنى تأفف ولا تكبر ولا أنفة ولا عظمة ، فعلمنا من ذلك أنه رجل وديع الأخلاق كامل الصفات ، يميل للتواضع والموادعة ، ويحب المجاملة والمصانعة ، وبعد الظهر قد

---

(33) لم أعثر على اسم هذه المحطة ، لعلها أولان أودي Ulan-Udc وهي المحطة الواقعة بين إركوتسك وتشيتا .

(34) البيادة (بتشديد الياء) : العسكر المشاة ، والمفرد (بيّادي) ، وهي من أصل فارسي .

(35) الطوبجية (عامية) : المدفعية .

(36) محطة تشيتا Chita .

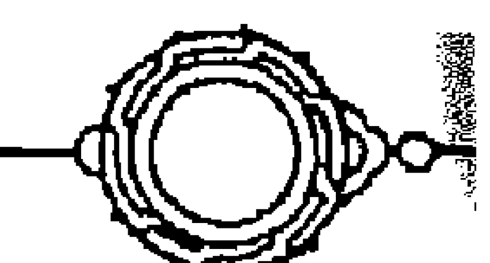
(37) الكوذاك : القوزاق Cossack وهم من أصل تركي وينتمون إلى تتار الفولغا Volga Tatar .

(38) الدون : من سكان نهر الدون .Don ولعل المقصود الفولغا Volga لارتباط التتار به .

وصلنا إلى محطة (بورياتسكايا)[39] ووجدنا فيها كثيراً من الصينيين بملابسهم العجيبة ما بين ذكر وأنثى . ومما رأيته جديراً بالاستغراب أنهم لابسون الفراء في شدة الحر[40] ، ورأيت الفرسان منهم راكبين خيولهم بحالة لا بأس بها ، إلا أنهم يرفعون الركاب إلى أعلى حتّى تصير ركبهم مقوسة وأرجلهم معوجة .

وأراضي بلادهم قليلة المزارع كثيرة الرمال والصخور ، ولولا وجود الثلج لما وجد عندهم شيء من الكلأ والمراعي . ولذلك يرى على جميع مواشيهم أنها في غاية الهزال والاضمحلال . وفي هذا اليوم قد رأيت ببعض مراعيهم بعض جمال بيض . والخيل كثيرة عندهم ولذلك يسوقونها للمراعي كما تساق الإبل وسروج خيلهم كالسروج العربية لها مسند من الأمام ومسند من الخلف ، ورأيت لهم تعوداً على الركوب والنزول بغاية السرعة والراحة ، وخيولهم صغيرة الحجم وهي في غاية من الهدوء ويظهر عليها الهزال وعدم الراحة . ولعل ذلك ناشئ من كثرة الأسفار عليها ، وعدم إعطائها من العلف ما يكفيها مع عدم الاعتناء بخدمتها ومن عوائدهم أنهم متى نزلوا عنها يربطونها في أسفل عمد مجعولة لذلك الغرض ، ورأيت الكثير منهم يركبها مسافة طويلة مع أن الظاهر عليها أن ظهورها يابسة يحصل منها للراكب تعب كثير ، ولكن بالنظر لكثرة تعودهم على ركوبها ربما تسهل هذه المتاعب والمشاق .

وفي هذه الصحاري الواسعة يوجد ملايين من الحيوان المعروف في أمريكا بكلب الغيط ، وهو في الحقيقة نوع من أنواع الفأر البري كبير الحجم يماثل حجمه حجم الثعلب ، ويداه أصغر من رجليه ، ويوجد أيضاً فيها كثير من الأوز على اختلاف أنواعه وأشكاله .



حدود منشوريا

وعند الوصول إلى محطة صغيرة قد رأيت كثيراً من النساء الصينيات فوجدتهن يضفرن شعورهن ضفيرتين ويرسلنها من الأمام ، وأما رجالهم فإنهم يجعلون شعورهم جديلة واضحة ويرسلونها خلفهم ويجعلونها مسدولة على ظهورهم .

وعند منتصف الليل قد طلبوا منا (الباسبورتات) لكوننا قد خرجنا من حدود

Buryatskaya (39)

(40) الحكمة الشعبية في الريف تقول : إن ما يرد البرد يرد الحر .

الروسيا ودخلنا منشوريا وهي تابعة للصين ، إلا أن السكك الحديدية الشمالية فيها تابعة للروسيا ومحروسة بحرس منها .

وفي منتصف الساعة الحادية عشرة صباحاً قد وصلنا إلى محطة (يوكيدون)[41] ولما وصلنا إليها وجدناها مزدانة بزينة جميلة كالعادة وكانت العساكر الموجودة للمقابلة من ألايا الأعمال الهندسية بالموسيقى ، وكان بهذه المحطة الجنرال المسكوفي المناط به العمل في منشوريا الشمالية ، كما أنه كان بكل محطة عشرون من عساكر (الجندرمة)[42] لأجل الحراسة والحفظ ، وهم مقيمون بمحل واحد محاط بسور مرتفع وفيه منافذ كثيرة للبنادق تشبه منافذ الخنادق . وفي هذه الجهة ، قد أذن لنا أن نأخذ الصور الفتغرافية[43] التي نريد أخذها حيث إن هذا الأمر ليس ممنوعاً فيها لأنها غير تابعة للروسيا ، وقد جعل بهذه المحطة استعراض للعساكر واصطفوا على جانبي السكة الحديدية حتَّى إذا قام القطار أخذوا يهتفون بالدعاء للغراندوق ، وكانت الأراضي بهذه الجهة قليلة المزارع كثيرة الجهات الرملية والحجرية ، إلا أنه بعد مدة من الزمن قد وصلنا إلى أراض جميلة المناظر تكسوها الطبيعة بهجة وجمالاً ، وقد مر القطار بخندق صغير وهو أول خندق قابلناه في طريقنا هذه .

وأهالي هذه الجهة معتادون على الحمل على ظهورهم ، وقد وصلنا بعد ظهر هذا اليوم إلى بلدة كبيرة تسمى (سيسيكار)[44] . ولما وصلنا إليها رأينا الازدحام شديداً والوفود كثيرين ، ومن ضمن الوافدين رجل من عظماء الصين قد أرسل لمقابلة الغراندوق ، ومعه عشرون من العساكر الصينية لابسون ملابس تشبه ملابس العساكر اليابانية . ولما شاهدتهم رأيت أنهم ليسوا متمرنين تمرناً تاماً فاستخففت بهم ، فقيل لي إنك لو رأيتهم في بلادهم لرأيت جنداً منتظماً وجيشاً قوياً وملابس جملية ، وأعجبك تمرنهم على جميع الأمور العسكرية . وقد مررنا على نهر يسمى (نونى)[45] ، وهذا النهر هو الذي فاض في العام الماضي فيضاناً كثيراً حتَّى أغرق

---

(41) لم أعثر على اسم هذه المحطة ، لعلها موكدين Mukden عاصمة منشوريا .

(42) الجندرمة (تركية) Jendirma من أصل فرنسي Jendarme : عسكر الحدود ، شرطة الريف .

(43) الفوتوغرافية .

(44) هي مدينة تشيتشيهار Qiqihar حيث يلفظ q بالصينية تشي .

(45) الاسم الصحيح : نين جيانغ Nen Jiang

أربعة وتسعين كيلو مترا عرضاً وغرق فيه بلاد كثيرة . ولكنها في هذا العام لما مررنا عليها وجدناها في غاية من البهجة والنضارة . وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً قد وصلنا إلى (خاربين)[46] عاصمة منشوريا الشمالية ، وهي مركز الوالي الموسكوفي . ولما وصلنا إليها وجدناها مزينة تمام الزينة متأهبة لقدوم الغراندوق على حسب العادة ، وفي انتظاره كثير من الناس وبينهم ثلاثة من عظماء الصين لابسين حللاً زرقاً وعلى رؤوسهم قبعات من الخوص بكل قبعة حجر من الأحجار النفسية وهذه الأحجار تدل على رتبة كل واحد منهم ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه القبعات عليها كساء من شعر الخيل مصبوغ بألوان مختلفة على حسب اختلاف مراتبهم ، وفي هذه المحطة قد نزل السائحون الذين يريدون الوصول إلى بلاد الصين لينتظروا واليتهم ويركبوا بالقطار الذي يؤمُّها صباحاً .

وفي آخر يوم قد أصبحنا بمحطة (أنجو)[47] التي رأينا بها ألايا[48] من الفرسان وآخر من المشاة وثلاث بطريات[49] وجميعهم في انتظار الغراندوق ، وحيث أننا قد قربنا من اليابان فقد رأينا ثلاثة من نسائهم ، وهذه أول مرة شاهدنا فيها نساءهم فوجدناهن في غاية من حسن الشكل ونظام الملابس وقد مررنا على جملة محطات صغيرة ، والذي تنبهت إليه أن عجائز نساء الصين وكذلك شيوخهم يشربون الدخان في عيدان طويلة ، كالتي كانت مستعملة من عهد غير بعيد في القطر المصري ، كما أني رأيتهم يضعون الدخان في أكياس من الجلد كالعادة المصرية القديمة أيضاً . وبقي الهواء طوال ذلك اليوم في غاية الاعتدال والجودة ، إلا أن السحاب كان متراكماً حتّى خفنا أن يعقبه المطر ، ولكن لم يحصل ذلك . وكنا نمر على جبال قليلة الارتفاع وأراض زراعية مزينة بالزراعة . وقبل مرورنا على بلاد (نوتستك)[50] نتكلم على

---

(46) مدينة Harbin والهاء تلفظ خاء أو غينا في الروسية .

(47) لم أعثر على اسم هذه المحطة فربما غيروه بعد الثورة البلشفية .

(48) الايا (جمعها : الايات) : الفرقة من العسكر ، الفيلق ، وهي من أصل تركي .

(49) بطاريات .

(50) لم أعثر على هذا الاسم ، ويبدو أن مدون الرحلة ظن (فلادفوستوك) Vladivostok بلاد (فوستك) ولم تسلم الكلمة من الخطأ المطبعي .

السكة الحديدية ، فنقول إن هذه السكة لها إعلانات كثيرة ترغب الركاب ، وإن قطاراتها مشتملة على كل ما يلزم من الاحتياجات من عربات أكل وصالون ، ومعبد ، ومكتبة ، وحمام وغير ذلك مما يرغب المسافر ويجعله يعتقد تمام الاعتقاد أنها أوفى من السكك الحديدية الأوروبية . ولكن الحقيقة أن قطاراتها لا تزيد شيئاً عن قطارات النوم الموجودة بأوروبا ، وأن هذه الإعلانات كلها ترغيبات يراد بها جلب المنفعة ليس إلا . وأغرب من ذلك أن الوابور يوقد بالغاز أو الخشب أو الفحم ، وأنهم يجعلون الوقود مما رخص ثمنه وقلت قيمته من هذه الأشياء . فعند المرور على بلاد يوجد فيها الغاز كثيراً يوقدونه به ، وعند المرور على الغابات الكثيرة والأشجار الكبيرة يجعلون وقوده من فحمها أو خشبها حتَّى لا تكلفهم هذه الوابورات شيئاً كثيراً في ذهابها وإيابها .

وبهذه السكة حرس مسكوفي وهو ضروري لها بالنسبة لكثرة وجود فريق من عصابات اللصوص يسمى (كونكوز) ينزلون على الركاب متى تمكنوا من ذلك ويزعجونهم بضرب البارود في وجوههم وغير ذلك من أنواع المخاوف التي تمكنهم من سلبهم ونهب ما معهم . ولطالما يركبون مع الركاب في زي سواح ، حتَّى إذا سار القطار وهدأت الأفكار ووضع الراكب حموله ، وأرخى الليل سدوله ، أخذوا يهددون الركاب ، ويعذبونهم بأنواع العذاب ، ويشهرون عليهم السلاح ، حتَّى إذا عجزوا عن المدافعة والكفاح سلبوا ما قدروا على سلبه ، ونهبوا ما تمكنوا من نهبه ، ولولا خوفهم من الحرس لكثرت اغاراتهم وقويت عصاباتهم ووجود هذا الحرس يشعر بأن الولاء على هذه الجهات للروس .

وفي محطة من المحطات الصغيرة قد نزل رجل من الركاب الذين كانوا معنا فرأيت كثيراً من مستخدمي الجمارك الصينية في انتظاره فسألت عنه فقيل لي : إنه أحد رؤساء رجال الجمارك الصينية وأن أغلب أكابر مستخدميها من الأوروبيين وهؤلاء الموظفون الصينيون الذين كانوا ينتظرونه ترى عليهم سمة الوقار وحسن الهيئة .

وبعد قيام القطار من هذه المحطة قد أخذ يسير بنا متدرجاً في الارتفاع في جهات مرتفعة حتَّى اضطروا لوضع مكينة أخرى مساعدة لجر القطار حتَّى يتيسر المسير ويسهل العسير . وبعد قطع هذا المرتفع قد وصلنا إلى محطة (نيكولايفسك)[51] فرأينا

(51) لعلها محطة ميخائيلوفكا Mikhailovka ، المحطة الثالثة قبل فلاديفوستوك .

بها عساكر كثيرة ومعهم وهم في انتظار الغراندوق فنزل من القطار وركب حصاناً من جياد الخيل كان قد أعد له وذهب هو وحاشيته ومن معه إلى تلك البلدة وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً قد وصلنا إلى (نوكوستك)(52) فوجدناها منارة بالنور الكهربائي الكثير الذي يدل على أنها بلدة كبيرة لا قرية صغيرة . ومن حسن الحظ قد وجدنا معنا موسيو شفالي ، أحد مفتشي عربات النوم ، فإنه قد دلنا على وابور البحر الذي يوصلنا إلى اليابان بدون تعب . وقد أخبرنا أحد مستخدمي السكة الحديدية أنه يمكننا أن نبيت بوابور البحر ، ولو أنه يسافر صباحاً ، فانشرح صدرنا لهذا الخبر وسررنا به سروراً كثيراً ، فإنه قد كفانا كلفة التنقيب والبحث عن محل نبيت فيه مع ما هو حال علينا من تعب السفر فضلاً عن شقة الذهاب والإياب .

المحطة الأخيرة

ولما وصلنا إلى السفينة البخارية وجدناها صغيرة مجعولة لحمولة ألف طولوناته(53) ، وهي تابعة لكمبانية همبرغ مؤجرة من الحكومة الروسية لأجل تسهيل السير بين الروسيا واليابان ، فركبنا فيها وقلنا بسم الله مجريها ولم نزل سائرين حتى وصلنا بسلامة الله تعالى إلى (فلاديفوستك) فحصل لنا بذلك السرور ، إلا أنه لم يكن تاماً لأن الهواء كان شديداً جداً . وقبل الدخول إلى حجرة النوم مكثنا مدة عند مفتش عربات النوم نتحدث معه ، وكان مدار الحديث بيننا فيما يلزم لنا عند رجوعنا من حفظ الأماكن وغير ذلك مما يكفل لنا الراحة ويسهل طرق العودة .

ولما سأل المستخدمين عن وجود محال في العودة أخبروه أن جميع المحال مشغولة من أول شهر أبريل إلى آخر شهر سبتمبر فلم نسر لهذا الخبر الذي يترتب عليه أن نبقى ثلاثة شهور ونحن في بعد عن الأوطان ، وهذا مقدار عظيم من الزمان . ولكنه لم يحصل ذلك ، بل إنه بهمته وحسن عنايته أمكن- والحمد لله - أن نأخذ أماكن من الأماكن الاحتياطية في الوابور الراجع من خاربين في سبعة يوليو إلى أوروبا . ولذلك قضت الضرورة بأن يكون مكثنا في بلاد اليابان مقيداً بهذه المدة . وفي هذه الليلة قد حصل لي أرق كثير وتواردت علي خواطر شتى ، واشتغل الفكر ببعد المسافة

---

(52) لم أعثر في المعاجم الجغرافية على هذا الاسم .

(53) طونولاتة (إيطالية Tonnellata) : طون (طن) = ألف كيلو غرام .

التي بيني وبين وطني وتذكرت أهلي وجيراني وصحبي وخلاني ، وتخيلت أن كل فرد من أفراد عائلتي ، وكل صاحب من أصحابي ، بل وكل شجرة في البستان ، وغصن من الأغصان ، يطالبني بالرجوع إلى أوطاني ، فأكثرت من الدعاء لله سبحانه وتعالى ، أن يعيدني إلى وطني سالماً وأن يحفظني في الذهاب والإياب ، وعزمت على أني بعد انقضاء رحلتي هذه لا أتوجه إلى بلاد بعيدة بهذا البعد الشاسع ، لأني تأملت فوجدت نفسي فريداً في هذه البلاد لا أجد من يسامرني ولا من يخبرني عن الأوطان ، وما حصل فيها من الأمور المهمة والحوادث الملمّة .

وفي منتصف الساعة الثامنة صباحاً قد تحرك الوابور للسفر فلبست ملابسي سريعاً لعدم إمكان ذلك في البحر بالنسبة لكثرة هوائه ورداءة جوه . وكان قباطين الوابور كلهم من الألمان ، وجميع عماله من الصينيين حتّى النجار والطباخ ، وكان الوابور في غاية النظافة ، لاعتناء كل فريق من العمال بأداء ما وكل إليه من الأعمال . ورأيت الشيوخ منهم في غاية من قبح المنظر وتشويه الخلقة ، وإن الشبان منهم رؤيتهم مقبولة وصورهم مألوفة ، فعجبت من التغيير العجيب الذي يعتريهم عند الكبر فيغير خلقته ويمسخ صورهم . وقلت سبحان مغير الأحوال من حال إلى حال .

وأما كلامهم فإنه يشبه كلام البرابرة وهم يتكلمون بصوت منخفض بقدر ما يسمع أحدهم الآخر ، ولهم اعتناء تام بالنظافة ، لا يفترون عن ذلك طرفة عين .

وقد تغير حال البحر تغيراً عظيماً حتّى مرض جميع من في السفينة من السائحين ، ولذلك لم يبق معي إلا اثنان وقت الجلوس على المائدة قد استطاعوا الحضور إليها . وكان الهواء جنوبياً غربياً ، ومع اشتداده واستدامته قد تراكم السحاب واغبر الجو وأظلم البحر حتّى صار القبطان لا يستطيع أن ينظر شيئاً أمامه ، واضطرته هذه الحالة إلى استعمال الصفير في كل خمس دقائق مخافة الوقوع في شيء من الخطر الذي يحصل من المصادمة .

وفي الساعة الثامنة ليلاً قد تحسنت حالة الجو واعتدل الهواء ، وانكشفت غياهب الظلماء حتّى تمكنا من رؤية القمر وهدأ البال ، سيما وأن القبطان قد أخبرنا أن هذه الجهة ليس فيها خطر كغيرها لقلة وجود السفن السائرة فيها . وغاية الأمر أننا نتقابل غداً الساعة التاسعة مع الوابور الآتي من اليابان قاصداً (فلاديفوستك) .

وفي اليوم التالي قد أصبح الهواء جيداً وصار الجو معتدلاً ، ولكن البحر لا يزال مضطرباً ، والأمواج تلعب بالباخرة ومن فيها ، فتارة ترتفع بنا حتّى نتخيل أننا على

طود من الماء ، وتارة تنخفض حتًى نظن أننا قد وصلنا إلى قاع البحر ، وصار الناس في انزعاج عظيم . كل ذلك ونحن في غاية الثبات متوكلين على الله تعالى ، واثقين بكرمه ورحمته ، وفضله ورأفته ، ملتجئين إليه أن ينجينا من ظلمات البحر كما حفظنا من غوائل البر .

وبعد الزوال قد قيس الأفق الذي نحن فيه فعلم أننا قد برحنا النقطة التي كان يلزم أن نكون فيها بنحو خمسة عشر ميلاً ، وهذا من قوة الريح وشدة تأثيرها على الباخرة . وبهذه الحالة كنا ندخل في الساعة السادسة صباحاً إلى (سروجة)[54] وهي بغاز[55] طوله عشرة أميال بحرية ، فصرنا في غاية الوجل من أن يوجد سحاب أو أي مانع يمنعنا عن الدخول في هذا البغاز . ولذلك قد أمرت خادمي أن يوقظني من النوم من مبدأ الساعة الرابعة صباحاً ، ولكن بحمد الله تعالى وجميل لطفه وحسن تيسيره قد سهل الأمر ووصلنا إليه ، ولم نجد أي مانع يمنعنا عن الدخول فيه . ولما كان الإنسان الذي يسافر السفر الطويل يحصل له سرور عظيم وفرح كثير ، إذا وصل بسلامة الله تعالى إلى الجهة التي يريدها ، كان السرور في هذه الليلة لا يمكن وصفه حتًى إنه من شدته قد منعنا النوم ، ووجدنا على سطح الباخرة بملابسنا العادية من الساعة الثانية بعد نصف الليل ، إلا أني وجدت عزيزي علي بك رضا قد حصل له تعب كثير وفتور زائد لكونه مضى عليه يومان ولم يذق شيئاً من الزاد بالنسبة لحالة البحر واضطراب السفينة .

وقد شاهدنا دخولنا في البوغاز قبل طلوع الشمس ، وكان المنظر جميلاً أجمل من مناظر النرويج المشهورة بالألوان الكثيرة ، وذلك لأن جبال اليابان كلها مزدانة بالنباتات الطبيعية والأشجار المختلفة الألوان والأشكال ، وهذه الأشجار موضوعة وضعاً طبيعياً بنظام جميل ، حتًى يتخيل لرائيها أنها موضوعة بوضع بستاني ماهر . فسبحان من أبدعها على هذا المثال ، وأوجدها على ذلك المنوال . وبالجملة ، فإني مهما وصفت هذا المنظر الجميل ، والصنع المتقن الجليل ، فإنه لا يمكنني أوفيه حقه لما اشتمل عليه من الجمال والبهاء ، وحسن الشكل وجميل الرواء ، فإنه لا يقوى على ذلك إلا ناثر قادر ، أو شاعر ماهر . ولما وصلت الباخرة إلى البوغاز ، أكثروا من الصفير

---

(54) تسوروغا Tsuruga : التاء المضمومة في اليابانية تلفظ تسو .Tsu

(55) البغاز أو البوغاز (عامية من أصل تركي) : المضيق .

إيذاناً بوصولها . وبمجرد سماعه قد حضر نحو 200 زورق صغير ، وفي كل واحد من هذه الزوارق رجل واقف وفي يده مقذاف يقذف به الماء ، إلا أن وقوفه في آخر الزورق لا في جانبه ، خلافاً للعادة المعروفة . وفي كل زورق فانوس من الورق ، وفيه كتابة باللون الأحمر ، فكان ذلك المنظر شارحاً للصدور موجباً للسرور ، سيما لرؤيته أول مرة . وجاء في أحد هذه الزوارق ضابط من ضباط البوليس ومعه اثنان من البوليس السري ، وأخذوا يفتشون جميع الأماكن بدون أن يكلموا أحداً . ولما انتهى عملهم أذنوا بالدخول لغيرهم . وبمجرد ذلك الأذن قد وجدنا جملة من الشبان قد دخلوا الباخرة وصاروا يتكلمون بكلام غير مفهوم لنا ، فسألنا عنهم فأخبرنا أنهم من قبل أصحاب الفنادق ، ووجدنا الحمالين لهم تعود على الحمل ومعرفة تامة به وتظهر عليهم علامات القوة والشهامة ، وعلى صدوره وظهورهم بطاقات مكتوب عليها أسماؤهم (أو نمرهم)[56] باللغة اليابانية . وخرج كثير من الناس وبقينا حتّى حضر رئيس الكمبانية[57] لأجل أن يخلص ما معنا من المكس[58] ويوصلنا إلى المحطة وأحضر سفينة أكبر من هذه الزوارق لأجل حمل ما معنا من الأمتعة وفيها شاب حسن الهيئة ، نظيف الملابس يحسن التكلم باللغة الإنجليزية فودّعنا القبطان وأعطيناه نقوداً لأجل أن يعطيها للخدم منحة لهم وسروراً بوصولنا بسلامة الله تعالى إلى البلاد اليابانية التي قصدناها .

الوصول إلى اليابان

إن السرور الذي حصل لنا عند وضع أقدامنا على الأرض اليابانية ، بعد ما لحقنا من أتعاب ذلك السفر الطويل ، كان مقداره عظيما جداً حتّى كان يتخيل لنا أننا كأننا وجدنا من العدم ونجدنا من الهلاك ، وكان في الانتظار جملة من الناس لقصد التفرج على السواح على اختلاف أنواعهم والكل متبسمون تظهر عليهم علامات السرور ، ومن الرصيف إلى الجمرك مسافة صغيرة ورأينا من مستخدمي الجمارك بعكس ما سمعناه عنهم ، لأنهم قابلونا بجميع أنواع الملاطفة والموادعة ، وقضوا لنا

(56) نمر ، جمع نمرة (عامية دارجة من أصل لاتيني Numerus) وبالفرنسية Numero : أرقام .

(57) الكمبانية : من كومباني Company : شركة .

(58) المكس (جمعه : مكوس) : الرسم المالي الذي تفرضه الجمارك على البضاعة الأجنبية .

أشغالنا بغاية السرعة وتمام الإنسانية . ومن أغرب ما رأيت أنه ، مع كون الوقت كان في البدرية ، رأيت شاباً صغيراً لا يتجاوز الرابعة عشرة من سنه ومعه كيس فيه نقود لا تقل عن أربعمائة جنيه لأجل المصارفة للسوّاح[59] وهذا يدلنا على أنهم في غاية من الأمانة حتّى يؤمن شاب مثل هذا على تلك النقود الكثيرة ، ولا يخشى عليه من ضياعها ، ورأيت أنهم يلبسون نعالاً أو قباقيب من خشب لحفظ أرجلهم من الأوساخ وأنهم يحبون النظافة ، ولذلك تراها ظاهرة على رجالهم ونسائهم وأطفالهم وبدلاً عن أن نركب عربة يجرها رجلان تسمى (ركشه)[60] قد مشينا على أرجلنا لأجل أن نتفرج على أحوالهم وأماكنهم . وكان ذلك صباحاً وهم مشتغلون بفتح دكاكينهم ، ورأينا بيوتهم فوجدناها بيوتاً لطيفة ، والماء يجري أمامها في مجاري صغيرة . ورأينا عندهم قناطر كبيرة ، كلها من الخشب ، والماء العذب موجود بكل جهة ، وترى النساء والأطفال مشتغلين بغسل ملابسهم . وكان هذا منظراً جميلاً ، ثم وقفت لشراء أوراق بوستة[61] ، عليها مناظر فوتوغرافية . والدكاكين مرتفعة ، وبجوار كل واحد منها قطعة يمكن الجلوس عليها . وهذه الدكاكين تشبه الدكاكين المصرية القديمة ، غير أنها أنظف منها وكل من أراد أن يجلس مع صاحب الدكان ، لا بد أن يخلع نعليه ثم يدخل ويجلس معهم . وبيوتهم في (سروجة)[62] صغيرة جداً وقليلة الارتفاع ، وهي موضوعة تحت جبال عالية لتحفظها من شدة الهواء وتقيها من برد الشتاء . ولما توجهنا جهة المحطة ، وجدنا قربها معبداً . ووصلنا إلى المحطة ، ولم نحصل على التذاكر إلا بكل مشقة لعدم التفاهم ، ولو أن معنا ترجماناً إلا أنه باللغة الإنجليزية ، مع كونه ما كان يفهم منها إلا شيئاً قليلاً . فطلبنا التذاكر من الدرجة الأولى وأعطيت لنا ، إلا أنهم أخبرونا أن السكة من سروجة إلى (ميبرة)[63] ليس بها عربات من الدرجة

---

(59) السيّاح .

(60) Ricksha أو Jinrikisha : عربة صغيرة بعجلتين تتسع لشخص واحد ويجرها رجل ، لم تعد مستعملة .

(61) بوستة (عامية) معرة حرفيا من Post : بريد .

(62) مدينة تسوروغا Tsuruga .

(63) الصحيح (مايهارا) Maihara ، وحرفا الباء والهاء متشابهان في اللغة اليابانية . وهذه المدينة تقع على بحيرة بيوا Biwa .

الأولى . ثم وزنوا ما معنا من الصناديق ووضعوا على كل صندوق نمرة وحلقة من النحاس ، وأعطونا مثلها قطعاً تشبه عملة النحاس التي كانت مستعملة بمصر من زمن قريب ، فأعطيتها لخادمي . وهذه القطع تعطى للشيء الذي يتبع الراكب ولا يدفع عليه شيئاً . وأما سواه فإنه يعطى لصاحبه ورقة مكتوب كالجاري بجميع الجهات الأخرى . وحيث كان باقياً على قيام الوابور ساعة ، أحببت أن أتفرج على المعبد القريب من المحطة . وتعرف المعابد ببنيانها المخصوص ومشابهة بعضها لبعض ، وأنها تكون دائماً في أعظم موضع وفي وسط بساتين . فدخلنا في بستان جميل فيه كثير من الأشجار الكبيرة العالية التي يظهر عليها طوال المدة ، وقدم العهد . وفي المشاية[64] وجدنا على ناحيتها شمعدانات من الحجر . وبدل الزجاج هنا يستعمل ورق أبيض ، وكذلك في كل سكة منه نحو عشرين مصباحاً . وفي ركن من أركان هذا البستان مدفع من المدافع المأخوذة في حروب[65] الروسيا ، وكثير من الأشياء التي أخذت في تلك الحرب . وبعد مدة رأينا فسقية[66] من حجر واحد تشبه حجر الجرانيت ، ومنبع الماء من صورة سلحفاء[67] طولها نحو مترين ، وهي حجر واحد أيضاً ، يخرج الماء من فمها وهو يصب في هذه الفسقية ، ويعتبرون أنه ماء مقدس . وقد أخبرني الترجمان بأن هذا الماء يغتسلون منه قبل الدخول في عبادتهم ، كما أنهم يشربون منه تبركا . فتوجهت لأكبر بنيان في هذا المعبد لأطلع عليه ، فوجدت الباب مغلقا ، وعلى كل جهة من جهتيه (كشك) آخر صغير . ومن حسن الحظ وجدت امرأة عجوزا قد حضرت وابتدأت تصفق بيدها أولا ، ثم ركعت ، ثم جعلت تنطق بكلمات ، ثم تعود الى التصفيق ثانيا ثم تركع ، وهكذا . ثم مدت يدها إلى حبل ، فلما أمسكت به وهزته وصل ذلك إلى أجراس ، فدقت تلك الأجراس فظننت أنها تطلب فتح الباب من أحد . ثم سألت عن ذلك ، فقال لي الترجمان إنها تصلي ، فعرفت أن صلاتهم بهذه الكيفية .

والعادة عندهم أن من يدخل المعبد يدفع بعض النقود على سبيل الهدية ، أو

---

(64) كلمة عامية ، فصيحها : الممشى أو الممر ، والمقصود هنا (مدخل المعبد) .

(65) في هذه الحرب كان انتصار اليابان على روسيا سنة 1905 مدويا .

(66) الفسقية : الحوض الصغير ، وفي الدور الشامية تسمى (بحرة) .

(67) السلحفا (بلا همزة) : السلحفاة .

يرسل إلى المعبد شيئا من المصنوعات الجميلة . ولذلك توجد أشياء كثيرة بالمعابد من أجمل مصنوعاتهم وأدقها صنعا وأغلاها قيمة . وبعد ذلك رأيت أن وقت الرحيل قد أزف فعدت إلى المحطة سريعاً ، فرأيت أن القطار قد حضر إليها ، فدخلت وركبت بغاية السرعة لأجل حفظ الأماكن . ورأيت أن مقاعد العربات موضوعة صفين طولا ، وفي كل عربة محل للغسيل ومحل للراحة . ثم سار القطار وصرنا نمر على جبال مرتفعة وأنهار كثيرة ومزارع شتى . وكانت هذه المناظر في غاية من الجمال ، لأنها كلها جديدة بالنسبة إلينا . ووجدت السكك الزراعية التي توصل ببعض البلاد إلى بعض في غاية النظافة والنظام التام ، غير أنها ضيقة عما ينبغي أن تكون عليه . ولما مررنا عليها وجدنا أن الأهالي يحملون الأشياء على ظهورهم ، وليس لهم عربات إلا عربات الأيدي الصغيرة ، فعرفت حينئذ أنه لا حاجة إلى سعة الطريق .

ورأيت الأراضي الزراعية في غاية النظام ، قد أخذت زخرفها وازينت بالزراعة حتّى إنه يخيل لرائيها أنها بساتين أو رواب ذات قرار معين ، ومروج زاهرة ، وجنات باهرة . وكل الحدود عندهم على خطوط مستقيمة . ورأيت أن الكفور[68] عندهم ينتخبون لها أحسن المواقع ويضعونها في وسط أشجار وأنهار ، لأجل أن تقيها من شدة الحر في الصيف وقارس البرد في الشتاء . وكل منزل من المنازل له بستان يناسبه ، ولذلك يظهر على كل بيت منها البهجة والسرور .ولما رأيت هذه الحلة صرت في غاية من الفرح حتّى صار يخيل لي أني في جنة عالية قطوفها دانية . وكانت تظهر علامات السرور أيضا على جميع السواح[69] الذين كانوا معنا . ورأيت أن هذه البلاد يوجد بها من المناظر الجميلة ما يوجد في سويسيرة ، إلا أن جبالها أعلى . ومن حسن الحظ أن ذلك كان في فصل الربيع ، وأن جميع الأشجار كانت في غاية من النضارة والبهجة .

وكنا نرى أن نساءهم يشتغلن بزراعة الأرز التي هي أعظم زراعاتهم ، وتكون دائما زراعته في الأراضي المغمورة بالمياه . وبعد ساعتين قد أخذنا متاعنا وتوجهنا لاجل النزول من هذا القطار بمحطة صغيرة ، وفيها تناولنا غذاء الظهر ، ولو أننا كنا في الساعة الحادية عشرة . ثم ركبنا القطار الجديد ، فوجدنا امرأة عجوز أمريكانية ومعها

---

(86) كفر(بفتح الكاف وسكون الفاء ، واجمع : كفور) : القرية ، والكلمة من أصل سرياني .

(69) سوّاح (عامية) وفصحاها : سيّاح .

بنتها ، ووجدنا شيخاً كبيرا يابانيا قد حلق شاربه وأبقى لحيته ، فرأيناه نائما على المقعدة وجاعلا رجليه في وجه هذه السيدة الأميركانية ، فاستغربنا من هذه الحالة وتعجبنا من هذه الحرية العجيبة والحالة الغريبة . وزاد تعجبنا من أنه لا يلتفت إلى أحد من الركاب ولا يكترث بمن غاب أو حضر ، كأنه جالس بمنزله بين أفراد أسرته لا ينظر إلا إلى صحته وراحته . ولما رأيت الازدحام شديدا في الدرجة الثانية ، طلبت البوليس لأجل أن يخلي محلا لتابعي . فبمجرد دخوله في العربة قد أخلوا المحل قبل أن يطلبه منهم ، وكانت عربات الدرجة الأولى والثانية مزدحمة من العساكر اليابانيين ، وهم لا يكترثون بأي شيء ، خالعين نعالهم وبعضهم نائم على بعض ، ومنهم من يبصق أو يمخط أو يتثاءب أو يفعل غير ذلك من الأمور التي نعدها معيبة محقرة . ووجدت أنهم يستعملون الشاي بكثرة مثل ما يتعاطى الدخان عندنا أو القهوة .

وكان الأكل عند محطة ميبرة مناسبا . ولقلة الخدم وكثرة السائحين ، صرنا نأخذ ما يلزم لنا من المطبخ بأيدينا ، ووجدنا أن الخدم والطباخين في غاية من الأدب ، وكانت تحيتهم لنا بالركوع عند كل كلمة . وإن كان الإنسان إذا أعطاهم أي شيء على سبيل المنحة والصدقة يرون أنه شيء عظيم ، ويأخذونه بغاية البشر والابتسام والأدب والاحترام ، مهما كانت حالته وقلة قيمته . ثم سار القطار بنا من ميبرة إلى (تكيو)[70] وهذه مسافة ساعتين قد مررنا فيهما على بلاد كثيرة ومناظر جملية لا يمكن التعبير عنها ولا وصفها حق وصفها ، مهما جاد القلم ونطق بالحكم (فماراءٍ كمن سمعا) . وقد مررنا على بحيرة كبيرة تسمى (بيو)[71] وبقربها الجبل العظيم المسمى (نوجي)[72] وهو جبل محترم عندهم كاحترام جبل عرفات عندنا . وهو جبل عظيم الارتفاع ، ولذلك لا يكاد الثلج ينقطع من قمته حتّى في وقت الصيف . ولحبهم له وما اشتمل عليه من حسن المنظر ، تراهم يرسمونه دائماً بمناظره على كل صناعاتهم . وبعد ذلك قد وصلنا إلى (يوكاهاما)[73] وهي مينا تجارية كبيرة ،

---

(70) طوكيو Tokyo

(71) بحيرة بيوا Biwa

(72) الصحيح : جبل فوجي ، فوجي-سان Fuji-san

(73) يوكوهاما Yokohama

وأهميتها لكونها قريبة من (تكيو) التي هي القاعدة والعاصمة . ومنها بعد عشرين دقيقة قد وصلنا إلى (تكيو) عاصمة البلاد اليابانية ، فوجدنا بوّاب فندق إمبريال منتظراً لنا بالمحطة ، فأحضر لنا العربات (الركشة) ، عربات صغيرة بعجلتين يجرها رجل ، فأمره أن يوصلنا إلى الفندق فتركناه مع تابعنا بالمحطة لأجل تخليص المتاع من المكس[74] . ثم ذهبنا إلى الفندق ، فلما وصلنا إليه وجدنا صعوبة كثيرة بالنسبة لازدحام غرفه وحجراته بالسوّاح ، حتّى إنهم صاروا يعرضون علينا محال في كل طبقة منه ليست مناسبة فلما رأوا إعراضنا عنها اجتهدوا في وجود محال مناسبة ، ولو أنها بالدور الأول من العمارة الجديدة التابعة للفندق . وأول شيء بدأنا به ، بعد وصولنا ، هو الاستحمام عقب هذا السفر الطويل . وكان أول ما خطر بفكري أن أتوجه صباحاً إلى يوكوهاما لأجل الحصول على ترجمان ، والمقابلة مع مندوب شركة كوك التي هي متعهدة لنا بقضاء جميع ما يلزم في أي سفر كان ، إلى أي جهة كانت ، من نحو عشرين سنة . فلما سألت بوّاب الفندق عن مواعيد القطارات التي توصل صباحاً إلى يوكوهاما وأخبرته بغرضي ، أخبرني أن ذلك المندوب الذي أريد مقابلته هو بالفندق بالنسبة لسياحة وكيل جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، فسررت بذلك وأرسلت له بطاقة الزيارة التي فيها أسمي فحضر توأ ، وأخبرته بجميع ما هو لازم . ولما أصبح الصباح توجهنا لأجل أن ننظر الأشياء الموجودة بهذه البلدة ، فاطلعنا فيها على جملة شوارع فيها قصور مشيدة ومبان عالية . ومن جملة ما رأيناه سراي[75] الملك ، حيث أننا قد مررنا عليها فوجدناها تشبه قلعة في وسط البلد محاطة بخندق غير أنه مملوء بالماء وأخبرنا الترجمان أن الإمبراطور لا يخرج إلا نادراً في بعض الأعياد والمواسم . والترجمان الذي معنا ، مع كونه شيخاً كبيراً ورجلاً كهلاً ، قد أخبرني أنه إلى الآن ما رأى الإمبراطور مرة واحدة ثم توجهنا إلى شارع كبير واسع سعته نحو مائة متر وطوله ثمانية كيلومتر وبه مركبات كهربائية (المعروفة بالترام) ثم أطلعنا على دار الكتب المعروفة (بالكتبخانة)[76] وجملة متاحف وبالنسبة

---

(74) المكس (في الأصل) : الرسم المالي الذي يدفع على السلع ، والمقصود هنا (الجمارك) .

(75) السرايا (من أصل فارسي) : قصر الملك ، دار الحكومة ، والمقصود هنا : قصر الإمبراطور .

(76) كلمة تركية : دار الكتب ، مكتبة عامة .

لحداثة عهد مدنيتهم ليس عندهم في متاحفهم أشياء كثيرة ولا نفائس مهمة .

وبما يؤسف عليه أن مباني الحكومة الآن كلها على الطراز الأوربي ، مع كون الطراز الياباني أحسن منه رونقاً وأجمل منظراً ، فإننا رأينا سرايات وقصوراً تابعة للأمراء والأعيان بالشكل الياباني في غاية من البهجة وتمام الإتقان . ورأينا دور السفراء بقرب السراي الملوكية تحيط بها الجناين والبساتين ، وهي في شوارع لطيفة واسعة ، وأغلبهم على الهيئة القديمة وإنما يلبسون على رؤوسهم قبعات (برانيط) ، وأخبرنا أنه لا يلبس السترة والبنطلون إلا مستخدمو الحكومة .

وملابسهم مع بساطتها فإنها غاية من الراحة ، لكونها عبارة عن عباءة بحزام وشراب[77] وحذاء .

الكلام على تكيو

هي عاصمة تلك البلاد ويبلغ عدد سكانها 1,800,000 ، وهي بلدة قديمة البناء . والتاريخ المعروف لليابان هو من نحو سنة 5 بعد الميلاد[78] التي كان فيها ميكادو[79] ، وكان بالجهات اليابانية القبلية[80] . وكانوا يحترمونه كثيراً لأنهم كانوا يزعمون أنه ابن الإله . وأوّل ديانتهم كانت هي الديانة البوذية ، أخذها من بلاد كوريا . وفي سنة 185[81] بعد الميلاد كان لهم وقائع ومشاكل مع ولايات أمريكا المتحدة ، وقد أرسلت لهم أمريكا أسطولاً فضربهم . ومن هذا الوقت كان ذلك درساً لهم علمهم أنه لا بد من التقدم والاستعداد ، فأخذوا يستعدون . وقدأعطاهم الميكادو ومن ذلك الوقت دستوراً شبيهاً بالدستور الألماني ، فأخذوا في التقدم شيئاً فشيئا حتى وصلوا إلى درجة عالية ، وصاروا يضارعون الدول العظيمة في التقدم والحضارة . وهذا التقدم الفجائي ظهرت نتائجه لأوربا من مدّة حربهم مع الصين سنة 1894 بعد

---

(77) شرابة : ضمة من خيوط في طرف الحزام أو الطربوش .

(78) المعروف أن تاريخ اليابان يبدأ من 660 ق.م .

(79) ميكادو Mikado لقب إمبراطور اليابان ، معناه : البوابة السامية أو المهيبة .

(80) مملكة

(81) الخطأ واضح في هذا التاريخ ، ولعل الإشارة إلى الكوميدور بيري الذي نزل في ناغاساكي سنة 1852 .

الميلاد . ولذلك ، في سنة 1899[82] ، لما طلبت اليابان أن تجعل قوانينها نافذة على كل قاطن ببلادها من أي دولة كانت ، لم يمكن أوربا أن تعارضها في ذلك لما رأت من شدّة بأسها وقوتها . والدول التي لها سفارات في توكيو هي إنجلترا والممالك المتحدة الأمريكية وفرانسا وألمانيا (ولهولاندا والدنماركا والنرويج) قنصلاتو[83] واحد وبلاد الروسيا والصين كذلك .

ومصلحة البوستة والتلغراف[84] موضوعان في عمارة كبيرة.

وبهذه العاصمة أربعة بساتين كبيرة تسمى شيباكو وكوينو وأساكوسة وهبانة[85] ، ومتحف للجيش ومتحف للتجارة ، ومتاحف كثيرة غير هذه تابعة لبعض العظماء والأغنياء من الأهالي ، وبها مكتبة ملوكية عمومية ، وبها أيضاً عدّة كنائس إنجليزية وأمريكانية وكاتوليكية ، وكل هذه الكنائس في أحياء الإفرنج قريبة من السفارات . وأغلب تجارتهم في صنعة النحاس ، وصياغة الفضة ، والأشغال الحريرية ونسجها وخياطتها بأشكال لطيفة ، وسن الفيل ، ومراوح الورق والحرير ، والرسم بالألوان المختلفة والأشكال الغريبة والصور العجيبة ، إلى غير ذلك من الصنائع التي لا تحصى ولا تعد .

وبعد الظهر عند رجوعنا إلى الفندق وجدنا كثيراً من الناس في انتظارنا ، فسألنا عن سبب ذلك الانتظار فأخبرنا أن هذا اليوم هو يوم عيد ميلاد الملكة[86] التي صار لها من السنين 59 سنة ، وأنها خارجة إلى بستان للتنزه ولأجل المرور على هؤلاء المنتظرين . فانتظرنا عشرين دقيقة حتّى خرجت ، ورأينا موكبها . وأول هذا الموكب أنه قد جاء أحد فرسان البوليس ، ولما نظره الناس علموا بقدوم الملكة ، فكل من كان

---

(82) وفي أغسطس/آب من هذه السنة جرى تنفيذ المعاهدات الجديدة مع الدول الأجنبية وتم فتح اليابان أمام العالم .

(83) الكلمة (من أصل لاتيني) Consulate : قنصلية .

(84) البوستة (البوسطة) والتلغراف : البريد والبرق .

(85) أسماء هذه الحدائق هي : : شيبا Shiba ، وينو Ueno ، أساكوسا Asakusa ، هيبيا Hibiya .
ولعل سبب الخطأ أنهم يلحقون بكل من هذه الأسماء كلمة (كوئن) Koen ومعناها : حديقة .

(86) هي زوجة الإمبراطور وليست ملكة .

راكباً على عربة أو فرس أو غير ذلك ، حتّى ولو كان جالساً على كرسي ، نزل ووقف على رجليه إكراماً للملكة . ثم جاء خادم متزيٍّ بالزيِّ الإفرنجي راكباً على حصان ، وخلفه أربعة عساكر خيالة بمزاريق[87] وبوسطهم ضابط معه الراية الملوكية . ثم جاءت عربة الملكة ، وهي جالسة فيها وأمامها سيدة من النساء بالزي الإفرنجي ، وخلفها ستة رجال على أرجلهم ، وبعد عربتها جاءت عربة أخرى بها ثلاث سيدات من أتباعها ، وبعد ذلك جاءت عربة أخرى بها حكمدار[88] البوليس . وكانت الملكة عند مرورها تحيي الجموع بالإشارة الرأسية ، وكلهم ينحنون لها ويحيونها بهيئة الركوع . وكان هذا الاحتفال على أحسن ما يكون من البهجة والكمال .

ومساحة هذه البلدة من الشمال إلى الجنوب 8 كيلو متر وعرضها 6 ونصف كيلو متر ، ومساحتها التربيعية حينئذ تكون 28 ميلاً مربعاً وكانت تسمى في الأزمان القديمة (يبدو)[89] . وكانت عبارة عن ثلاث أو أربع قرى صغيرة ، متصل بعضها ببعض . وفي سنة 1590 جاء الشجون[90] توكوجاوا[91] وبنى قلعة كبيرة ووضع العساكر فيها . وفي سنة 1868 قد منعت سلطة الشجونات ، وجاء الميكادو إلى هذه العاصمة وسماها توكيو . وهي مقسمة إلى خمسة عشر قسماً[92] ، وبها نهر عظيم يسمى (سوميدة) وعليه خمسة[93] كبارٍ من حديد ، وهذا النهر أعظم مساعد على نمو التجارة وتسهيل طرقها .

---

(87) مزاريق (جمع مزراق) وهو الرمح القصير .

(88) قائد الشرطة .

(89) إدو Edo أو يبدو Yedo هي القرية التي تحول اسمها سنة 1868 إلى طوكيو ومعناها (العاصمة الشرقية) .

(90) شوغون : Shogun لقب الحاكم العسكري في العهد الإقطاعي .

(91) توكوغاوا Tokugawa اسم الأسرة التي حكمت اليابان (1603 – 1868) ومؤسسها إياسو Ieyasu.

(92) اليوم مقسمة إلى 47 قسما أوحيا : 23 حيا في طوكيو القديمة و 24 حيا حديثا .

(93) هذا العدد تضاعف كثيرا ، ومن النزهات المسائية الممتعة أن يستقل الزائر مركبا يعبر به تحت 13 جسرا داخل طوكيو .

وسراي الملك كانت تسمى (إيدوجو)[94] وطولها أربعة أميال وفي سنة 1873 قد انهدمت ، ثم أعيد بناؤها ثانياً في سنة 1889 والدخول فيها ممنوع ، وحولها من الخارج عدة محال من المباني العظيمة تابعة للحكومة ، فمنها محل للمحاكم ومحل لبس النواب ومحل للنظارات[95] ومحل للمطبعة الأميرية وغير ذلك .

وفي اليوم التالي وددت أن أزور البساتين المشهورة عندهم التي ذاع صيتها وامتازت عن سائر بساتين الجهات الأخرى ، ومررت على جملة خانات ودكاكين فيها بعض أشياء تجارية .

ومعاملة الترجمان هناك فكرتني بما يحصل من التراجمة هنا ، بل وفي سائر العواصم من الدخول مع التاجر إذا أراد السائح أن يشتري شيئاً أو التدليس وعدم الإرشاد إلى الحقيقة للوصول إلى مقاصدهم السافلة ، إلى غير ذلك مما هو معلوم من دناءتهم وسوء سيرهم .

الكلام على يوكوهاما

وبعد الظهر قد توجهت إلى يوكوهاما لأجل مقابلة مندوب شركة كوك ، وهي على بعد نصف ساعة من توكيو بسير وابوار البر ، وكانت في قديم الزمان بلدة صغيرة ليس بها إلا أناس من صيادي السمك ، وفتحت أبوابها للتجارة سنة 1858 ، والآن صارت تعد من أكبر مينات[96] اليابان ويبلغ عدد سكانها الآن 23,000 وتجارتها تشتغل الآن في 350,000,000 مليون (ين) وهو يساوي 15 قرشاً .

ويوجد بهذه البلدة قناصل لجميع الدول وجميع الشركات لهم وكلاء فيها ، وهي بلدة جميلة تشبه عواصم أوروبا لكثرة وجود الفرنجة فيها ، حتى يخيل للنازل بها أنه بأشهر عواصم أوروبا ، وبها دكاكين وخانات كثيرة مشتملة على كثير من الصنائع اليابانية ، وأغلب الخياطين الموجودين بها من الصين . وفي ضواحيها حمامات بحرية ، ومتنزهات كثيرة ، وملعب للخيل ، وفي بعض جهاتها أراض غير مستوية ،

---

(94) Edo-go: قلعة إيدو .

(95) النظارات : الوزارات .

(96) جمع مينا وميناء : موانٍ وموانئ .

وفيها سكك منحدرة . وبعد ذلك عدنا إلى توكيو القريبة .[97] وبها عمارتان عظيمتان على الطراز الأوروبي ، وفي إحداهما المحكمة وفي الثانية نظارة البحرية ، وهما بداخل بستان عظيم ، ومساحتها 88 فدانا ، وبها طرق طول امتدادها أربعة أميال . وبها ما يسمى (بصونة)[98] تربية الأشجار والزهور الغريبة التي ليست من نباتات البلد ، بل هي مجلوبة من عواصم كبيرة ، والقصد منها التمرين على معرفة خواص النباتات . وهذا البستان يسمى (هبيا)[99] ويوجد بقربه معبد مشهور يسمى (ياسوكوني جنشا)[100] وهذا المعبد المفتخر الباهر عمل تذكار للشهداء من العساكر الذين حاربوا في تعديل الحكومة القديمة ، وأمامه هيكل كبير يمثل القائد (أموره)[101] وهذا الهيكل مصنوع من النحاس الأحمر . وبها دار أسلحة فيها كثير من الأسلحة القديمة اليابانية والأسلحة التي اغتنموها في حروب الصين ومنشوريا .

والقسم الجنوبي الشرقي منه يوجد به روضة غناء تسمى (شبيه)[102] وهي أكبر روضة فيها ، وبها معابد كثيرة يسر بها الناظر ويقر الخاطر ، وبها نقوش من الذهب والفضة بالنقش المتقن الجميل ، وبقربها ناد يسمى (كوكوكان)[103] وهو مطعم يقدم فيه المأكولات اليابانية للأجانب وفي وقت الكل ترقص بنات من اليابانيات ، وبقرب هذا النادي دار آثار خصوصية للمسيو أكورة ، وبها روضة ملوكية تسمى (هماركو)[104] وهي روضة تذهب إليها العائلة الملوكية في موسم مبدأ ظهور الزهور ، خصوصاً شجر الكريز[105] وبقربها مدرسة الزراعة والتجارة وفي القسم الشمالي الشرقي منها الروضة

---

(97) وردت في النص (الغريبة) والخطأ المطبعي واضح .

(98) لعلها (بونساي) Bonsai : أشجار قزمة .

(99) Hibiya

(100) جنجا Jinja ، ومعناها (ضريح أو مزار) باليابانية ، وهي خاصة بمعابد الشنتو ، مثوى الأجداد .

(101) هو القائد والزعيم الوطني تاكاموري (1877-1883) Takamori واسمه الأول سايغو Saigo .

(102) Shiba أقيم على مقربة منها برج طوكيو (333 م) .

(103) لعل اسمه الصحيح كوكوجيكان Kokugikan

(104) حديقة Hamarikyu تقع على الضفة اليمنى لنهر سوميدا .

(105) الصحيح : شجرة الكرز Sakura ، وهي شجرة لأزهارها موسم احتفالي كبير ، بلا ثمر ولا رائحة .

المسماة (رينو)[106] وبها طريق على بستان أشجار كثيرة من شجر الكريز ، وعند ظهور زهر هذه الأشجار تكتسب الطريق حسنا وررونقاً . وفي هذه الروضة يوجد المتحف الملوكي ، وجنينة الحيوانات ، ومدرسة للصنائع الجميلة البديعة الإتقان ، وبها مدرسة للموسيقى ، وجملة معابد فاخرة . وبها مدرسة تخرج معلمين مثل مدرسة دار العلوم الخديوية ، وهي مبنية على الطراز الأوربي بناء فاخراً وحولها جملة مدارس تابعة لها . وتوجد قريباً من هذه الجهة روضة تسمى (أساكوسه)[107] ، تسمية لها باسم المعبد الكبير الموجود بها ، وهذا المعبد مشهور بهيكل صغير من ذهب يمثلون به إله العفو والمغفرة . وبهذه الروضة أيضاً مدرسة الهندسة العالية . وبالقرب من هذه الروضة على شاطئ نهر (سوميده) طريق مشهور يسمى الكريز لكونه يوجد على جوانبه نحو 4000 شجرة من الكريز ، وفي شهر أبريل تكون كلها مزدانة بالزهور الجميلة . وآخر هذا الطريق يوصل إلى معبد يسمى (إيكوئني)[108] تذهب إليه الناس لأجل التفرج على المصارعة هناك .

وفي الجهة الغربية والشمال الغربي توجد روضة مشهورة تسمى روضة الترسخانة ، تسمية لها بالترسخانة الأميرية الموجودة بها . وهذه الروضة أشهر جميع الرياض الموجودة ببلاد اليابان . وبالقرب منها جنينة الأزهار ومدرسة (الجوجوتسو)[109] وهو المشهور بعلم الجوجوتسو ، وهو علم يمكن الضعيف إذا تعلمه أن يغلب القوي . وبقرب هذه المدرسة سراي ولي العهد التي هم منشغلون ببنائها من الأحجار الجسيمة ولم ينته بناؤها إلى الآن ، وخلف هذا السراي محل متسع الأرجاء معد لاستعراض الجيش فيه .

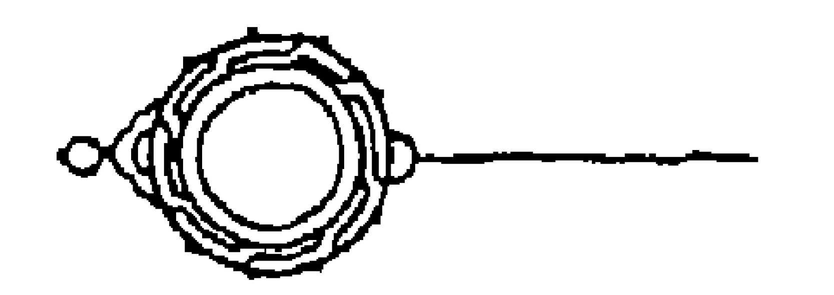
---

(106) حديقة وينو Ueno ، والخطأ المطبعي واضح .

(107) معبد إلهة الرحمة Kannon ويسمى Senso-ji وهو مشهور ببوابة الرعد : Kaminari-mon

(108) هناك معبد ei'Kan في وينو ، أو لعل المقصود Koen Kiyosum لأن (كوئن) تعني (حديقة عامة) في اليابانية ، وهي تقع بالقرب من مدرج مصارعة السومو Sumo .

(109) لم أعثر على هذه الكلمة ، هناك Gojitsu ومعناها (مهارة ، مهارات) ومن هذه المهارات : الجودو ، الكاراتيه ، الكيندو .



في أول شهر يناير لغاية أسبوع منه يزينون بيوتهم برايات وأغصان خضراء من أغصان الأشجار ، وبعد ذلك بعشرة أيام يشتغلون بالمصارعة . وفي شهري فبراير ومارث[110] يكون عندهم موسم لزهر شجر البرقوق في إبانه ، وآخر شهر مارث يكون عيد البنات الصغيرات ويهديهن أهلهن واقاربهن في هذا الموسم بعرائس كالعرائس المعروفة بمصر . وفي شهر إبريل يكون موسم زهر شجر الخوخ في أوانه ، وبعد ذلك بنحو أسبوع يكون عيد زهر الكريز ، وفي آخر إبريل يكون عيد ينابيع المياه الحارّة . وفي شهر مايو يكون عيد الصبيان ويهدونهم في هذا العيد بأسلحة ورايات صغيرة . وفي شهر يونيو يكون عيد زهر السوسن . وفي شهر يوليو وأغسطس يشتغلون بصيد نوع من السمك من الأنهار . وفي آخر شهر أغسطس يكون عيد زهر شجر الجلجان[111] ، وفي آخر الشهر يكون عيد نهر سوميده ، وهو عيد فيضان ذلك النهر . وفي شهر أغسطس وسبتمبر جملة من الأعياد الدينية أيضاً . وفي أوائل شهر نوفمبر يكون عيد زهر الأقحوان[112] . وفي شهر ديسمبر جملة أعياد دينية ، واستعداد لعيد أول السنة الآتية . وكل هذه الأعياد توجد المحبة بينهم وتقوّي رابطتهم ، ويحصل منه التعارف بين الجميع ، وتبعدهم عن الاشتغال بالملاهي والأمور التي لا فائدة فيها .

وفي توكيو جمعية تسمى جمعية السلام وهي تحت رئاسة أعظم الأسرات الشريفة وأعيان البلد وتحت رعاية الإمبراطور ، ولها جملة أعضاء وهم ينقسمون إلى أربعة أقسام .

القسم الأول أعضاء الشرف وهي العائلة الملوكية وأكبر العائلات اليابانية وجميع سفراء الدول الأجنبية .

القسم الثاني الأعضاء الذين يدفعون مقداراً من النقود يزيد عن عشرة جنيهات سنوياً وهم الأعضاء الدائمون .

القسم الثالث الأعضاء الذين يدفعون نصف جنيه في الشهر من كل من يرغب

---

(110) مارس/آذار .

(111) الجلجان : السمسم Sesame ، كما ورد في معجم المصطلحات الزراعية للشهابي .

(112) Chrysanthemum وتسمى في اليابان : وردة الإمبراطور Kiku

ذلك ، خصوصاً من السواح ويبقى عضواً سنة كاملة .

القسم الرابع الأعضاء العاملون في هذه الجمعية . وأعمال هذه الجمعية جليلة ، أهمها تسهيل جميع ما يلزم للسائحين القادمين على تلك البلاد على اختلاف طبقاتهم ، وتيسير كل ما يلزم لكل واحد منهم يريد الوصول إلى أي شيء أو الإطلاع على أي أمر . ومن عملها أيضاً أنها تطبع كتباً وإعلانات لكل شيء يكون مستحقاً للإطلاع عليه في كل أسبوع ، وتسهل الطرق إلى الوصول إليه لمن يريده .

وليلة ما وجدنا بيوكوهاما ثم عدنا إلى توكيو ، قد وجدنا هذه الليلة وليمة كبيرة بالفندق لأرباب الصحف والجرائد العلمية والسياسية ، وكان بها محرر جرنال التيمس وعدد كثير من السياسيين والكتاب المشهورين ، وكان من جملتهم مسيو (برونفسكي) الذي هو الآن نائب السفير المسكوفي باليابان ، وكنت أعرفه من مدة مديدة لأنه كان بمصر كاتباً بالسفارة الروسية . وفي اليوم التالي قد أخبرني بوّاب الفندق بأن المستر (رامبولد) الذي كان كاتباً للورد كرومر ، وهو الآن وكيل للسفارة هنا ، يريد مقابلتي إذا تيسر لنا ذلك من الساعة الثانية ونصف[113] بعد الظهر . فانتظرته لغاية الساعة الثالثة ، ولما لم يحضر توجهت بنفسي إلى سفارة إنجلترا لزيارة السفير بها . وكان ذلك السفير أيضاً ضابطاً بالجيش المصري وصاحباً للسير ألدون غورست . ولذلك قد كان كتب إليه كتاباً يخبره بقدومي ، وأنه يكون عضداً لي في كل ما أريده . فدخلنا السفارة ، وأوّل ما رآنا البوّاب حيانا بالركوع كتحية اليابانيين ، ثم وجدنا السفارة عبارة عن بيتين عظيمين في بستان كبير فيه كثير من الزهور الجميلة والورد المختلف الأشكال والألوان . فأشار البوّاب لسائق العربة أن يسير إلى البيت الثاني الكبير الذي هو البيت الخصوصي للسفير . فلما وصلنا إليه وسألنا عن السفير ، أخبرنا الخادم بأنه في الإجازة بأوربا وليس هو موجوداً بتوكيو . فسألته عن المستر رامبولد فأخبرني أنه ساكن بالبيت الثاني ، فتوجهنا إليه وسألنا عنه فقيل لنا إنه قد توجه إلى الفندق لأجل زيارتنا . ولما أخبر أني توجهت لزيارته تكلم بواسطة (التلفون) وطلب بقائي بضع دقائق لحين حضوره . وبعد دقيقتين قد حضر وقابلنا مقابلة جميلة ، وأخبرنا أنه مستعد لخدمتنا في أي أمر نريده ، وأن المستر ألدون غروست قد كاتبه في ذلك ، ولكنه ظن أن مجيئنا ربما يكون في شهر يوليو ، ولكني

(113) الثانية والنصف .

كنت هناك في شهر إبريل . ثم أظهرت له تأسفي على عدم مقابلتي للسفير ، وأني كنت أود تلك المقابلة فشكرني على ذلك وسألني أني إذا كنت أريد مقابلة السيدة امرأته فأخبرته أني غير مستعد لذلك بالنسبة لكوني بملابس السياحة . فأجابني بأن هذا لا يعد مانعاً ، وأخبرني أنها تكون مسرورة إذا تفضلت بمقابلتها ،فأجبته إلى ذلك . وقد عدنا ثانياً إلى بيت السفير فوجدتها متأهبة للركوب . فلما أخبرت بذلك أرجأت الركوب وانتظرت ، وقابلتنا أحسن مقابلة مظهرة لأنواع السرور والبشر والحبور . وقدمت لنا من واجب التعظيم والاحترام والتكريم ما يستدل به على آدابها السامية وتربيتها الراقية . وسألتني على كل ما أريد رؤيته في اليابان ، وأخبرتني عن جميع المواضع التي تستحق التوجه إليها ، وفهمت (رامبولد) كل من يمكنه أن يطلب منه الإذن للدخول إلى الأشياء التي تحتاج إلى إذن . وبعد ذلك قدّمت لها الشكر على ما رأيته من حسن ملاطفتها وعظيم عنايتها . وبعد ذلك انصرفنا قاصدين زيارة بعض دور الآثار الشهيرة ، فوجدت أن أجمل ما يوجد عندهم في متاحفه أصله من الصين . ثم عدنا ثانياً من أمام السراي الملوكية المحاطة بسكك واسعة وفيها ترامات كهربائية .

وكانت الفسحة من داخل البلد جميلة جداً ،لكثرة المرور على الكبارى الكبيرة الموجودة على الأنهار المتفرعة إلى فروع كثيرة ومتجهة إلى جهات مختلفة . ورأيت أن الفقراء بهذه البلدة يحافظون على النظافة محافظة تامة .

وبعد وصولي إلى (النزل) أرسلت لناظر الخارجية ورقة الزيارة ، وأخبرته أني كنت أريد أن أتشرف بمقابلة الميكادو مقابلة غير رسمية . وظننت أني لكوني شرقياً ومسلماً ربما يكون ذلك مما يسهل تلك المقابلة ، فأخبرت أنه لا يمكن مقابلته أو الدنو منه إلا بصفة رسمية بواسطة سفير من السفراء ، فلما علمت ذلك صرفت النظر عن تلك المقابلة . وفي هذه الليلة قد عزمنا على أن نتوجه إلى الفندق الأهلي الياباني الذي سبق الكلام عليه ، فأخبرونا أن ما يدفعه الشخص الواحد من النقود قيمة أكله 2 يين ونصف ، وما يدفعه عن التفرج على المرقص 25 يين . فتوجهنا وقت الغروب إليه ، وبمجرد وصولنا قابلنا عدة نساء من اليابانيات على بابه ، وأخبرنا بأنه لا بد من خلع النعال لأن المحل مفروش ، ومن ضمن هؤلاء بنت صغيرة تبلغ من العمر نحو تسع سنين ، ومشت أمامنا لأجل أن تدلنا على المحل الذي نجلس فيه ، وهي في غاية من النظافة والخلاعة[114] ، فوصلنا إلى رحبة كبيرة حيطانها الأربع من الورق

(114) هذا خطأ مطبعي واضح ، فلعل الكلمة الصحيحة هي (اللطافة) أو ما شابه .

السميك ، وبها كثير من الرسوم اليابانية البديعة الأشكال والألون ، فوجدنا بها وسادات على الأرض ومقاعد بسيطة ليس بها سواها ، مع سعة الحجرة ونظافتها . وبمجرد وصولنا إلى هذه الحجرة وجلوسنا فيها ، قد أتت عدّة نساء وأحضرن أمام كل واحد منا خِواناً صغيراً لأجل وضع الأكل عليه ، فجلسنا على هذه المقاعد متربعين كالعادة العربية . ثم أحضروا لنا الأكل ، فأوّلا قد أحضروا لنا المرقة المعروفة بالشربة[115] ولم يحضروا لما ملاعق لأجلها ، بل إنهم من غريب أمرهم أنهم قد استعاضوا عنه بكاسات صغيرة يشربونها بها . وبعد ذلك أحضروا لنا نوعاً من السمك حسن الصنع ، وعدة من أنواع الخضراوات والأرز . وكان الأكل بواسطة خشبتين صغيرتين يقبضهما الإنسان ويجعلهما شبه (الكماشة)[116] ثم يأكل بهما ، وكل شخص له آنية مخصوصة . والخادمات يخرجن ويدخلن معاً عند حضور أي طعام كان . ولما انتهى الأكل ورفع من أمامنا ، حيانا هؤلاء الخادمات بالسجود على الأرض كما هي عادتهن . وبعد ذلك فتحت الحائط[117] التي كانت أمامنا ، لأن بيوتهم مبنية من حيطان[118] من الورق ولذلك ينقلونها على حسب أغراضهم واحتياجاتهم . وبعد أن فتحت هذه الحائط ابتدأ الرقص فوجدناه بحالة لم نسر منها ، والموسيقى عندهم كذلك ليست على ما ينبغي ، لأنها عبارة عن ست بنات كل اثنين لهما عمل مخصوص ، فاثنتان منهما يلعبان بشيء يشبه العود وبيدهما قطعة يضربان عليها ، واثنان يصفران بصفارة ، واثنتان يغنيان ، والجميع يفعلن ذلك بحالة محزنة كأنهن يبكين . وبعد ما رأينا كل ما فعلوه ورأينا أن الرقص كأنه حركات أخرس يريد أن يفهم الكلام إلى سواه ، أعطيناهم المطلوب وبعض نقود على سبيل الصدقة ، فسررن بذلك سروراً كثيراً . ثم أخبرني الترجمان أن هذا الرقص ليس هو من عادات اليابانيات ، وإنما يفعلن ذلك مرضاة للسوّاح لأجل كسبهن ، وليس عندهن رقص في عوائدهن . فكلمت الترجمان أن يرجع بنا إلى الفندق لأجل أن

---

(115) الشوربا (عامية من أصل فارسي) : الحساء .

(116) وردت في النص خطأ (الماشة) .

(117) الحائط (مذكر) : الجدار ، ولعل الكاتب استعمل المؤنث مجازا لأنه يشبه الستارة الفاصلة بين غرفتين .

(118) هي حواجز أو قواطع داخلية من ورق خاص مزين بالرسوم ، وليست حيطانا ثابتة .

نتغدّى هناك مرة ثانية ، لأن الأكل الذي أكلناه لا يسد رمقاً ولا يحصل منه شبع ، فعدنا إلى الفندق وتغدينا كالعادة .

وفي يوم آخر قد توجهنا لزيارة الرياض والبساتين ، وبقينا طول يومنا . وعند رجوعنا في الساعة السابعة بعد الظهر ، كان بالفندق وليمة كبيرة من الأميرال وضباط الأسطول الأمريكاني الذي قد جاء زائراً اليابان للاميرال توجو وضباط البحرية اليابانية . وكانت الموسيقى التي تضرب لهم وقت تناول الطعام كل أفرادها عبيد[119] أمريكانيون .

ومع كون الحالة كانت سارة ، إلا أن الشيء الذي يؤسف عليه ويكره الإقامة للغريب في هذه البلاد هو أن اليابانيين ، مع ما وصلوا إليه من التقدم والحضارة ، يريدون أن يأخذوا من أي شخص كل شيء ولا يطلعونه على شيء .

مدينة نِكّو

ثم عزمنا على التوجه إلى (نيكو)[120] وهي بلدة مشهورة بلطافة منظرها وحسن معابدها وما اشتملت عليه تلك المعابد مما لا يخلو الإطلاع عليه من جزيل الفوائد ، سيما وأنه في أول شهر يونيه كان بها احتفال عظيم . فسافرت إليها من توكيو الساعة واحدة وأربعين[121] دقيقة في قطار عتاد يقف في جميع المحطات لقصد الاطلاع على ما اشتملت عليه هذه الطريق ومعرفته بغاية التحقيق والتدقيق . ولذلك قد مكثنا في هذه المسافة خمس ساعات حتّى وصلنا إلى هذه البلدة بعد مضي ربع ساعة من الساعة الثامنة . وكان بجوار السكة الحديدية طريق محفوفة من جانبيها بالأشجار الهائلة الارتفاع التي هي من شجر السنيبر[122] وهي قديمة العهد من نحو ثلثمائة سنة ، ولذلك كانت السكة في غاية من جودة الهواء ، مظللة بظل هذه الأشجار حيث إن الشمس لا يمكن أن تنفذ أشعتها منها . وطول هذه السكة 15 كليو مترا .

ولما وصلنا إلى المحطة وجدنا عليها نحو 200 ركشة ، عربات يجرها الرجال .

---

(119) من عادة الأمير أن يطلق على الملونين صفة (عبيد) في رحلاته .

Nikko (120)

(121) الساعة الواحدة والأربعين دقيقة .

(122) الصحيح : الصنوبر .

فركبنا في واحدة منها وتوجهنا إلى الفندق . وكان مرورنا بشارع طويل ، وفي جهتيه دكاكين فيها مصنوعات البلدة ، وخلف كل دكان بيت صاحبه ، لأن أغلب اليابانيين من أهل الحرف والصنائع . وهيئة هذا البلد تشبه بلاد سويسرة . وحيث إن الفندق على تل مرتفع ، فلما وصلنا إلى ذلك المرتفع انضم لكل عربة رجل آخر مساعد للذي يجرها حتّى أمكن الوصول إلى الفندق ، فوجدناه على شكل البيوت اليابانية ، وهو مبني من الخشب وفناؤه جعول من الخشب أيضا لأجل التظلل وحوله مظلة ، وهو موضوع وضعا جميلا . ووجدنا أن خدام هذا الفندق كلهن أناث ، وكلما يسألن عن شيء أو يطلب منهن أي شيء ، يجبن بلفظ (ييس) أي نعم أو حاضر . ولما دخلنا الفندق وجدنا حجراته وغرفته في غاية من النظافة ، ومحتوية على جميع اللوازم الضرورية ، ومستضيئة بالنور الكهربائي . وبعد ذلك قد توجهنا إلى المطعم ، فوجدناه محلا كبيرا وبه جملة خوانات صغيرة على الشكل الأوروبي . ولأجل التسلية ، رأيناهم واضعين أمام كل مائدة إناء من البلور فيه شيء من الماء والخضرة ونوع من السمك الأحمر الجميل الشكل . وكان الأكل متقنا ، والخدمة على أحسن ما يرام بواسطة هؤلاء البنات . ومن غريب الأمر أن السائح ينزل في هذا الفندق بشرط أن يدفع القيمة بما فيها ثمن الأكل . وعند رؤية الأطعمة المكتوبة في الورق وكثرة أصنافها وأشكالها ، يظن أنه لا يمكن أي إنسان أن يأكل كل هذه المآكل . ولكن عند الطلب يظهر له أنهم لا يعطون من الصنف المطلوب إلا شيئا يسيرا جدا ، بحيث إن النظر لا يكاد يراه . ولا يمكنون الإنسان من الأخذ من الصف الذي يريده بيده ، كما هي العادة المتبعة في أوروبا .

ولما أصبح الصباح أجرنا عربات ركشة لأجل التفسح في ضواحي البلدة ، ولرؤية منحدرات المياه التي تحف هذه البلدة . وقد جر الرجال هذه العربات نحو 50 دقيقة ، ولم يستريحوا إلا بعد وصولنا إلى تلك الينابيع . وبعد الاطلاع عليها ومعرفة أنها آتية من أعلى الجبال ومنحدرة إلى أسفلها ، وأن مياهها في غاية الصفاء والعذوبة ، رجعنا بعد ثلث ساعة إلى الفندق .

وحيث إن وجودنا كان في الوقت الذي فيه اجتماع السواح ، فكان التجار وأصحاب الدكاكين يذهبون وراءهم ويطلبون منهم التوجه إلى دكاكينهم ويرغبونهم في الأشياء الموجودة عندهم ، ويحتالون عليهم بأنواع الحيل حتّى بلغ من أمرهم أن الإنسان لا يمكنه أن يمشي في البلد ، بل ولا يجلس في الفندق إلا ويجد كثيرا منهم

يرغبه ، ويطلب منه زيارة محله ، ويمدح له ما عنده من الأشياء ، ولا يتركونه إلا إذا اشترى شيئا منها بأي قيمة كانت . ولذلك ، لما عدنا إلى الفندق قاصدين الغداء ، لم يزل بعضهم وراءنا حتّى دخلنا محل الأكل وهم لا ينصرفون عنا ، ولا يصدهم أحد عن هذا الإلحاح الغريب والأمر العجيب . وبعد ذلك ظهر لنا أن أصحاب الفنادق أنفسهم يساعدونهم لأجل رواج تجارة بلادهم ومكاسب تجارهم . فقد رأينا أن كل فندق به محل مخصوص فيه كثير من أصناف الأشياء التجارية البلدية مقسمة على حسب الدكاكين الموجودة في البلد . وبعد تناول الطعام توجهنا بعد الظهر لزيارة المعابد المشهورة التي أصلها مدافن الأمراء من عائلة (توكوجاوة)[123] ، وبعد ذلك قد أوجدوا بها المعابد . وهذه المعابد كلها من أفخر المباني اليابانية ، وفيها من الأشياء الجميلة والنقوش العجيبة والصنع الغريبة ما يدهش الألباب ويحير الأفهام . ولذلك كانت جديرة بالاعتناء بها والتوجه إليها . ومهما بالغ الواصف في وصفها فإنه لا يقدرها حق قدرها ، إذ ليس الخبر كالنظر . وهي موضوعة وضعا طبيعيا في أحسن الجهات منظرا ، حيث إنها موضوعة في محل تجري فيه المياه العذبة اللطيفة بين الأشجار والأحجار ، وأصوات العصافير والطيور المغردة تشجى السامع وتطرب بحسنها المسامع . وللوصول إلى هذا المعبد قد التزمنا أن نمر على النهر الذي هو بين الفندق وبين المعبد وهذا النهر يسمى (ديكافا)[124] وقد مررنا على كبري على هذا النهر ، ووجدنا بجواره كبريا آخر يعرف عندهم بالكبري المقدس ، وهو جميل الشكل مطلي بطلاء ذهبي ، وهو خاص بمرور الملك لا يمر عليه أحد سواه .

ومن الأمراء المشهورين المدفونين بهذا المعبد الأمير (سميتسو)[125] الذي كان سببا في منع الخرستيان[126] من دخول اليابان ومنع تجارتهم ولم يصرح بدخول أي تجارة أجنبية في (نكزاكي)[127] ولم يكن يصل إليها الا الهولاندي والصيني . وكان

---

(123) Tokugawa

(124) Daiya-kawa : أي نهر دايا لأن (كاوا) في اليابانية تعني (نهر) .

(125) هو الحاكم العسكري إيميتسو Iemitsu ، حفيد إياسو .

(126) الكريستيان Christians : المسيحيون .

(127) ناغاساكي Nagasaki : ميناء في غرب اليابان ، وهي المدينة التي ألقى عليها الأميركيون قنبلتهم الذرية الثانية .

مشهورا بمحبة وطنه وحفظه من التغلب عليه . وللوصول إلى هذه المعابد قد توصلنا بسلالم عالية ودرجات كثيرة ، ولما وصلنا إلى الباب رأيناه بابا مفتخرا ، وهو مطلي بالبوية[128] الجميلة وماء الذهب والفضة . ولما دخلنا منه ظننا أننا في كفر من الكفور بالنسبة لاتساعه واشتماله على عدة دور صغيرة ومحال شتى ، فوجدنا فيها محلا للجرس الكبير ، ومحلا للدف . وبجوار كل معبد محل آخر للحصان المقدس الذي يسمونه حصان الإله ، وهو حصان محجوز وموقوف على الإله طول السنة موجودة في هذا المحل ولا يخرج منه إلا في أيام المواسم الدينية ، وفي خدمته عجوز من اليابانيات مقصورة على هذه الخدمة ، غير أنها تبيع ذرة في مكاييل صغيرة أو قمحا . فالمتمسكون بالدين يشترون منها مقدارا ، ثم يعطون ما يشترونه من هذه الحبوب لهذا الحصان المقدس .

وجميع أبواب المعابد وحيطانها مصنوعة بأحسن الصنائع الممكنة والنجارة المتقنة . ويوجد بهذه المعابد عدة أجراس كبيرة تشبه أجراس الكنائس ، منها ما هو هدية لها من ملوك كوريا ، ومنها ما هو هدية من ملوك هولاندا . ويوجد أيضا بكل معبد فِسْقيَّة[129] من الحجر على الشكل الياباني والصيني ، وهي مملوءة من الماء العذب المقدس الذي يتطهرون منه قبل دخولهم إلى تلك المعابد . وحيطان المعابد الموجودة في داخل حجراتها ، كلها مطلية بماء الذهب الجميل الصنع ، البديع الوضع . وسقف هذه المعابد بها رسوم ونقوش ذهبية من أحسن ما صنعته أيدي مشاهير صناع الصين واليابان ، ولذلك ينشرح ببهجتها الخاطر ، ويسر برؤيتها الناظر .

والذي يريد الدخول في هذه المعابد لا بد له من أن يخلع نعليه قبل الدخول فيها ، لأنها في اعتقادهم أماكن مقدسة مطهرة ، لا يصح الدخول بالنعال فيها ، ولا بد له أيضا من أن يعطى القسوس شيئا من النقود يبعثره عليهم .

وبعد التفرج على أول معبد ، توجهنا لزيارة بيت الأوثان[130] فوجدناه مصنوعا

---

(128) (بويا Boyaعامية من أصل تركي) : صبغ ، دهان .

(129) فِسقية (من أصل لاتيني) : حوض ، نافورة ماء .

(130) لعل المقصود (الباغودة) : الطراز الخاص بالمعابد الصينية ، ويبدو أن عبارة (بيت الأوثان) من وضع مدون الرحلة ، لأن حديث الرحالة المستنير عن روعة المعابد يتنافى مع هذه النظرة العنصرية في تكفير الآخرين .

على الشكل الصيني ، وهو عبارة عن خمس غرف بعضها فوق بعض ، وكل واحدة منها أمامها خارجة من الخشب لها دائر (داربزين) يشبه دائر المنارة . وبعد ذلك زرنا أربعة معابد أخرى فوجدناها في أحسن وضع وأجمل صنع ، ووجدنا كل واحد منها مرسوما برسم مخصوص بحيث لا يشبه أحدهما الآخر . ومع كوننا لم ندقق النظر في كل شيء مما اشتملت عليه هذه المعابد ، بل إننا نظرناها نظرا إجماليا بالنسبة لقصر الزمن الذي مكثنا فيها ، وهو ثلاث ساعات ونصف ، فإننا قد اندهشنا من حسن بنيانها وبديع إتقانها وما اشتمل عليه من جميل الآثار التي يوجب الثناء والفخار . ولو أراد أي إنسان أن يقدر ما اشتملت عليه هذه المعابد من التحف والأشياء الغريبة والمصنوعات العجيبة بقيمة نقدية لعجز عن ذلك ، كما أنه لو أراد أن يصف حسن بهجتها وبديع صناعتها لا يقدر على ذلك ، مهما أجاد في وصفها وأطال في مدحها ، إذ ليس الخبر كالعيان ، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان ، ولا يحتاج إلى حجة وبرهان ، فإن الإنسان عند رؤيته لهذه المعابد الفاخرة واطلاعه على ما اشتملت عليه من الأشياء الباهرة يصدق المثل الموجود عند اليابانيين ، وهو قولهم : لا تنطق بلفظ مفتخر باهر إلا بعد زيارة نيكو .

وهذه المعابد كانت تابعة لديانة البودا[131] ومن مدة 45 سنة صارت تابعة لديانة (الشنتوثيست)[132] وهي ديانة الإمبراطور الحالي . وبعد التفرج على هذه المعابد الذي أكسبنا كثيرا من الفوائد قد رجعنا إلى الفندق ، ومررنا في أثناء رجوعنا على سراي الملك ، وقضينا بقية يومنا في راحة تامة ونعمة عامة .

مهرجان ديني

وفي اليوم التالي ليوم زيارة تلك المعابد كان ابتداء الاحتفال الديني عندهم . وبمجرد أن أصبح الصباح صاروا يضربون الدفوف ويدقون الطبول الدينية بغاية الشدة والقوة ، إيذانا للناس بأن ذلك اليوم هو مبدأ الاحتفال . وتوجهنا بعد الظهر قريبا من المعبد ، فرأينا الصبيان يهرولون حتّى يطلعوا سلالم المعبد ثم ينزلون ، ثم يعودون إليها ثم ينزلون عنها ، وهكذا قد فعلوا ذلك مراراً عديدة بغاية السرعة والنشاط فرحين

(131) بوذا Buddha

(132) Shintoist نسبة إلى ديانة الشنتو ، ديانة اليابان الأصلية : تقديس الأسلاف .

مستبشرين بعيدهم . وبعد أن انتظرنا ساعتين في وسط هذا الازدحام الشديد والطبول والغوغاء ، قد أنزلوا صندوقين من ذهب من شكل معابد الديانة الصينية وأخبرونا أن بكل واحد منهما تاريخ باني المعبد وخطبه بخطه وإمضائه . وكل واحد منهما كان محمولا بالرجال ، يحمله 75 رجلا ، وكان كلما اشتد بهم التعب ونزل عليهم العرق يُروِّح لهم أناس قد خصصوا لذلك بمراوح كبيرة . ولما مروا بهما على الناس صاروا يهتفون بألفاظ مصحوبة بالتضرع والابتهال ، وأظنها أدعية . وكنت ترى البعض راكعا ، والبعض ساجدا ، إلى غير ذلك من أنواع التعظيم والتكريم . وكان هذا الاحتفال لأجل نقل الصندوقين من معبد إلى آخر ليبيتا فيه ليلتهما ، ثم يرجعوهما في اليوم الثاني في الاحتفال الأكبر . وفي اليوم الثاني للاحتفال كان الجو غير معتدل والسماء غير مصحية ، وأصبح الندى متكاثرا والسحاب متراكما والرطوبة شديدة . وقد أخبرونا أن الاحتفال سيبتدئ في هذا اليوم من الساعة العاشرة ، ثم أخبرنا بعد ذلك أن ابتداءه سيكون في الساعة الحادية عشرة . ولما خرجنا من الفندق لرؤية ذلك الاحتفال وجدنا الطرق مزدحمة ازدحاما شديدا وباعة الألعاب في بهجة وسرور يبيعون ما معهم من الألعاب ، مهما كان نوعها ، إلى الأطفال بغاية السهولة وبقدر ما يريدون من الأثمان . فكان منهم أناس يبيعون السمك الأحمر ، وآخرون يبيعون السلحفاء[133] وآخرون يبيعون أشجار عاجزة إلى غير ذلك من الأشياء المقدسة عندهم المحترمة في اعتقادهم ، وغير هؤلاء كثير من الناس يبيعون أنواع المأكولات ، وكان يشتري منهم كثير من هذا الجم الغفير والعدد الكبير .

ولما وصلنا قريبا من المعابد وجدناهم في غاية الاستعداد ، وقد أحضروا للزائرين خياما كبيرة فيها كثير من الفرش والكراسي الفاخرة . فلما جلسنا وجدنا أمامنا (كشكا) صغيرا مختصا بعائلة توكوجاوا الذين هم من نسل هؤلاء الأمراء الذين أسسوا هذه المعابد ، وشيدوا هذه المعاهد ، ولهم أرفع صيت اليابان ، وكبيرهم في الوقت الحاضر هو رئيس مجلس الأمة اليابانية . وفي هذا اليوم قد تواترت الطبول وارتفعت الأصوات ، وكثر الازدحام ، وبقينا على هذه الحالة ، ولم نر شيئا سوى ذلك حتّى جاءت الساعة الثانية عشرة ولم يحضر شيء ، فسألنا عن سبب ذلك فأخبرونا أن التأخير ناشئ من شجرة عندهم يسمونها شجرة الإله يحملها 150 رجلا ، وكلما

(133) السلحفاة .

مرت على ملأ من الناس يجتهدون في أخذ الشيء من أوراقها أو أطراف فروعها الصغيرة يتيمنون بذلك ويتبركون به . ولما قربت منا ابتدأت الأجراس تدق . وهذه الأجراس كثيرة ما بين صغير وكبير ، وأكبرها يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار وقاعدته ثلاثة أمتار ونصف متر ، وكيفية ضرب هذا الجرس أنه معلق وبجواره حبل طويل معلق أيضا وفي وسطه عرق من الخشب ، فالرجل يتعلق بهذا الحبل ويهز نفسه ، وبهزه لنفسه يضرب العرق في الجرس فيدق ذلك الجرس .

ووقت الظهر قد شرف الاحتفال رئيس عائلة توكوجاوا ، ودخل المحل المعد له ومعه ثلاثة من كبار القسوس ، فابتدأ الاحتفال بالترتيب الآتي :

أولا رجال يحملون الكرسي المقدس ؛ وبعدهم آخرون يحملون الشجرة المقدسة وعددهم 150 رجلا ، كلهم لابسون لباس أبيض ؛ ثم مائة رجل من الحرس يحملون الحراب ؛ ثم بعد هؤلاء رجل لابس وجها صناعيا مشهورا بحمرة وجهه وطول أنفه ؛ ثم ثلاثة رجال لابسين جلود سبع ويمشون مشيته ، ثم ثلاثة آخرون يلبسون جلد لبوة ويمشون مشيتها ؛ ثم ثلاثة آخرون بمزامير ، ثم ثمان نساء يرقصن الرقص المقدس الذي يصنع عندهم في معابدهم ؛ ثم اثنان من القسوس على خيل ، وكل واحد حوله أربعة من الخدم ، ثم يمر خلفهم ثلاثة خيول مقدسة ؛ ثم يمر نحو خمسين رجلا يحملون بنادق قديمة ، ثم خمسون آخرون يحملون أقواسا بنبالها ، ثم خمسون يحملون سيوفا ، ثم مائة رجل مدرعين ؛ ثم اثنا عشر غلاما يحملون أزهارا ثم خمسون رجلا لابسون وجوها صناعية ثم أربعة قسوس حاملين مراوح مقدسة كبيرة ، ثم قسيس كبير راكبا فرسا متقلدا سيفا مقدسا وخلفه قسيس آخر يحمل سيفا مقدسا أيضا ؛ ثم أحد عشر مزراقا برايات وبيارق مجعولة على كرسي يحمله خمسة وخمسون رجلا بلباس أبيض ؛ وبعد ذلك ثلاثة رجال لابسين لباسا أبيض أيضا يحملون دفا كبيرا ، ثم رجل يحمل جرسا ؛ ثم ثلاثون غلاما يلبسون لباسا ووجها بهيئة قرود ونسانيس ، ثم عشرة رجال قابضين على عشرة نسانيس ؛ ثم ستة من القسوس راجلين ، ثم خمسون قسيسا من ذوي الدرجات الصغيرة راجلين أيضا ، ثم اثنا عشر موسيقيا ، ثم عشرة رجال حاملين صقورا ؛ ثم مقعدتان من الخشب مجعولتان لحمل الكرسي المقدس ، ثم قسيس يحمل الورقة المقدسة ، ثم قسيس آخر من ذوي الدرجات العالية راكبا فرسا ، وخلفه قسيس آخر مثله ، ثم القسيس الأكبر راكبا على فرس أيضا ، وخلفه خمسون رجلا من خدم المعابد ، ثم الكرسي المقدس الأكبر يحمله خمسون رجلا بلباس

أبيض وخلفه أربعون من الحرس ؛ وبعد ذلك جرس ودف ، ثم مقعدتان ثانيان كل واحدة منهما يحملها رجلان ، ثم قسيس آخر يحمل ورقة مقدسة ثانية وخلفه عشرون من الحرس ، ثم كرسي مقدس يحمله خمسون رجلا ومعهم عشرون من الحرس ، وله جرس ودف ومقعدة قسيس ثالث يحمل ورقة ثالثة مقدسة ، وعشرون من الحرس ، وكرسي ثالث يحمله خمسون رجلا ذوي ملابس بيض وخلفه قسيس ؛ وفي آخر هذا المحفل يمر ثلاثة قسوس راكبين خيلا . وأحسن ما في هذا الاحتفال أن جميع من به يكونون بملابس الهيئة القديمة التي مضت من ثلثمائة سنة . وكان يشتمل على كثير من البيارق اللطيفة والرايات الملوكية الجميلة . ثم لما انتهى هذا الاحتفال ، توجهنا إلى الفندق لأجل تناول طعام الغداء . وقد رغبنا رئيس الفندق في زيارة المتحف الصناعي الذي هو تابع لعمودية[134] البلد لأجل أن نرغب الأجانب ونشجع الصناع والتجار ، فرأينا أنه لا مانع من ذلك وتوجهنا لزيارته فرأيناه في محل جميل المنظر حسن الترتيب ، ورأينا أن جميع الأشياء التي به مع جودتها تباع بأثمان قليلة بالنسبة لبيع التجار ، وأنه يمتاز أيضا بتحديد الأثمان والبيع من غير زيادة ولا نقصان .

العودة إلى طوكيو

وبعد رجوعنا إلى الفندق قد عزمنا على الرجوع صباحا إلى توكيو ، وذلك لأننا قد رأينا المطر قد ابتدأ ينزل وأن الإقامة في الأرياف في أوقات المطر لا تكون سارة ، بل ربما كانت ضارة . فاستيقظنا صباحا عند طلوع الفجر لأجل أن يمكننا النزول في قطار الساعة السادسة ونصف . وإنما رغبنا في الركوب فيه لعلمنا أنه يكون قليل الازدحام بالنسبة لقيامه في الصباح مبدرا . وكانت حالة الجو تشبه وقت الشتاء بمصر ، فسافرنا المسافة التي كنا سافرناها للحضور إلى نيكو . وحيث إننا قد كنا أخبرنا الفندق الذي كنا فيه بإيابنا بتلغراف ، فبمجرد وصلنا إلى المحطة وجدنا عربة بحصانين منتظرة لنا من قبل الفندق ، فتوجهنا إليه وقابلنا جميع من به من المستخدمين وغيرهم بغاية الترحاب والاجلال . ووجدنا أن المحل الذي كنا به باق مستعد لنا ، وبه ما تركناه من الأمتعة . ثم بعد قليل من الزمن ، ذهبنا إلى محل

(134) منصب العمدة : المحافظة أو البلدية .

الغسيل لنجري ما هو لازم لنا ، ثم نستعد إلى تناول الطعام وبعد تناوله قد استرحنا ساعة ، وبعد ذلك خرجنا قاصدين رؤية الدكاكين التي لم نكن قد رأيناها من قبل .

وفي ثاني يوم كنا قد حصلنا من جميعة السلام على تذكرة دخول في جنينة الترسخانة[135] المشهورة بكونها أعظم جنينة بديع رسمها ومنفردة بما اشتملت عليه من الأشجار الكثيرة المختلفة الأجناس والزهور البديعة المتباينة الأشكال والألوان وأغلب (الكرت بوستال)[136] التي يكون بالمناظر اليابانية التي هي عبارة عن نساء وأطفال بين أشجار وأزهار من فتوغرافية هذا البستان . ومع كونها أشهر بستان عندهم ، فإني لم أجدها أحسن من البستان الصغير الذي يسمى ساتاكي ، فإني أراه أعظم منها بالنسبة لحسن إتقانه وكثرة ما اشتمل عليه من أنواع الأشجار وبديع الأزهار . وشاهدت الترسخانة فرأيتها كبيرة ، وعلمت أن اليابانيين يعملون بهمة عالية ونشاط مستمر . وبرجوعنا إلى الفندق من هناك ، قد رأينا بأحد البساتين خياما كثيرة وزينة باهرة ، فسألنا عن ذلك فأخبرنا الترجمان بأن هذه الزينة زينة عيد الصليب الأحمر الذي هو مختص بالمستشفيات وقت الحرب . وكانت السكة مزدحمة فأخبرنا أن الملكة وولي العهد يشرفان هذا الاحتفال ، وأمام هذا الاحتفال محل آخر معد للسيدات الوطنيات اللاتي ساعدن بكل ما عندهن في الحروب الأخيرة ، والملكة هي رئيسة هذه الجمعية التي هي جمعية السيدات . وكان على كل 15 متر عسكري من البوليس ، فلما رأيت ذلك حاصلا في بلدة في غاية الأمن وحب الأهالي إلى العائلة الحاكمة ، تعجبت من لوم الناس على الإكثار من البوليس في مثل مصر أو إسلامبول .

وكان جميع الأعضاء لابسين مدليات ذهبية أو فضية ، إشارة إلى أنهم تابعون لهذه الجمعية ثم أخبرت أن كل من يدفع عشرة جنيهات يكون عضوا بها .

وبعد الظهر قد توجهنا لرؤية بساتين ورياض أخرى غير التي رأيناها ، ثم أخبرت أن كل من كان غنيا وعنده شيء يستحق التفرج عليه ، يمكن الاطلاع عليه والوصول إليه بواسطة جمعية السلام ، حبا في الاطلاع على صناعاتهم والافتخار بعمالهم . وبعد ذلك قد توجهنا إلى بستان النباتات الأميري فوجدناه ، وإن كان ليس بأجمل

---

(135) الترسانة أو الترسخانة (من أصل عربي : دار الصناعة) ثم دخلت عليها (خانة) من التركية .

(136) بطاقة بريدية .

من البساتين التي رأيناها بأوروبا إلا أنه في غاية الانتظام ، وأمام كل شجرة من أشجاره لوحة فيها اسم هذه الشجرة باللاتيني والياباني . ولحبي للأشجار ولمن يعتني بحسن وضعها ، أردت أن أتعرف بأحد نظار هذا البستان وقد تم لي ذلك ، فعرفت أحد نظاره فرأيته شابا لطيفا يتكلم باللغة الإنجليزية ، ولكن من الأسف أنه أصم فاضطرتني الحالة للتكلم معه بأرفع صوت حتّى أجهدت نفسي في إسماعه . وهذا البستان كبير وفيه شجر كثير ، ولما مشيت فيه ولم أجد شيئا من حسن صنعته مما يلزم أن يكون في البساتين الشهيرة ، عرفت أنهم ليس لهم دراية بإيجاد بساتين من العدم وجعلها على أحسن ما يكون من النظام ، بل غاية ما في إمكانهم أنهم ينتخبون محلا فيه أشجار طبيعية ليكون بستانا ثم يضعون فيه من الأشجار ما شاؤوا بدون ملاحظة ترتيب الوضع أو إتقان في الصنع . وأغلب بساتينهم صغيرة ليست بقدر بساتين الجيزة ، ولا تساوي بستان سراي الزعفران ، ولا تضاهي بستان البرنس حسين باشا كامل الموجود بالجيزة . وحيث أن بساتينهم صغيرة فإنها تسقى غالبا بالأمطار ولا تحتاج إلى كثير من الخدمة ، والذي يحسن منظرها هو أن كل واحد منها يوجد بداخله نهر صغير صناعي وبركة في وسطها جزيرة تشتمل على كثير من الأزهار والنباتات النضرة والأعشاب الخضرة . ولأجل الوصول إليها يتوصل إما بواسطة قنطرة أو بواسطة طريق من أحجار موضوعة يمر الماء من بينها . وحيث أن بساتينهم طبيعية ، كما قدمناه ، فلا توجد فيها البهجة والعظمة اللتان يوجدان[137] في بساتين أشهر عواصم أوروبا . ومع ذلك ، فإني مسرور من بساتينهم بالنسبة لحداثة مدنيتهم ، ولا أقول ذلك تنقيصا لهم ، وإنما هو بيان للحقيقة .

وعند الرجوع إلى الفندق قد مررنا على الكنيسة البروتسطانتية فوجدنا كثيرا من الرجال والنساء ، ففهمنا أنهم مجتهدون في إدخال كثير من الناس في دينهم واعتناق مذهبهم . وكذلك قد علمنا أن الراهبات التابعات إلى القديس بولس لهن بيت ومدرسة ، وهن كذلك مجتهدات في إشهار مذهبهن . وقبل الوصول إلى الفندق قد مررنا على عدة دكاكين بقصد شراء شيء جميل من صنعة الأشغال اليدوية الحريرية والقصبية لنقدمها لدولة الوالدة المصونة[138] لتكون تذكارا لرحلتي هذه . وقد أكثرت

---

(137) توجدان .

(138) المصون .

في البحث حتَّى أجهدت نفسي فيه لأجل العثور على شيء يليق بدولتها يكون مشغولا بالصنعة اليابانية أو الصينية ، لأن الاعتناء بوضع الأشكال الجميلة والزركشة اللطيفة يحتاج إلى دقة وتفكير وفكر واسع وتعب كثير . وإن أهل أوروبا قد فاقوا غيرهم في حسن الاختراع ، وبرعوا في إتقان الأشكال والأوضاع . وبعد جهد جهيد قد اشتريت أحسن ما رأيت .

وآخر يوم من إقامتنا بتوكيو كانت السماء ممطرة ، ولكنني قد أحببت أن أتوجه قبل السفر إلى أحد الخياطين الصينيين لعمل كسوة صيفية على سبيل التجربة ، لأن لهم شهرة فائقة في تفصيل الملابس وخياطتها وكيها . وبعد ذلك قد توجهت لزيارة متحف الأسلحة فوجدناه يستحق التفرج لكونه يوجد فيه أسلحة كثيرة وزرود وزروخ(139) وغير ذلك من الأسلحة التي كانت تستعمل في الأزمان الغابرة . وهذا المتحف بداخل بستان ، وفي هذا البستان جملة من المدافع والجلل(140) والأسلحة التي كانت قد أخذت من الموسكوف في الحرب الأخيرة ، وجملة تروس من صلب مخروقة ومكسرة من الضرب لأجل أن يعرفوا الناس ما وصلوا إليه من قوة مدافعهم وأسلحتهم التي هي من صنع أيديهم في بلادهم ومعاملهم ، ثم تفرجنا على جملة أسلحة قديمة .

وبعد ذلك دخلنا في محل آخر فوجدنا فيه كثيرا من السيوف القديمة المشهورة ، وفيها كثير من سيوف الملوك والقواد والجنرالات . ثم دخلنا محل آخر فوجدنا فيها دروعا من أشكال مختلفة وكلها بديعة ، وباطلاعنا عليها ورؤيتنا لها علمنا أن ما عند التجار من مثل هذه الأشياء ويزعمون أنه شيء عظيم ليس فيه شيء يذكر بالنسبة لما هو موجود في هذا المحل . ثم دخلنا محلا آخر فوجدناه مملوءا بالبنادق الكبيرة التي لا يمكن أن يحمل الواحدة منها إلا رجلان . ثم ذهبنا إلى جهة أخرى فوجدنا فيها جملة بيارق مأخوذة من بلاد الصين وبلاد كوريا وبلاد الموسكوف ، ومن ضمنها سرير السفر التابع لقائد جيش الموسكوف الجنرال كروباتكين . وبعد ذلك دخلنا محلا آخر فوجدنا فيه صور الملوك وقواد الجيش الذين كان لهم الشهرة في الحروب مرسومة

---

(139) زرود (جمع زرد) : دروع ، زروخ (عامية) : صواريخ (وهي أنابيب تعمل بالدفع النفاث كألعاب الأطفال) .

(140) الجلل أو القلل (جمع قلة) : القنبلة .

برسوم بألوان زيتية . ومع كون هذا المحل ليس بكبير بالنسبة للمحال الموجودة بأوروبا ، ولكنه جدير بالعناية به وجعله محلا للنظر والزيارة .

وبعد الظهر قد توجهنا إلى سفارة إنجلترا لأداء الشكر للموسيو (رامبولد) لكونه قد حصل لنا من السراي الملوكية على أذنين ، أحدهما بزيارة السراي الملوكية (بكيوتو) والآخر بزيارة قلعة (ناجويا) ولتقدمة الاحترام لامرأة السفير . وعند الرجوع إلى الفندق قد أخبرني موسيو (برونفسكي) أنه في صبح غد سيحضر لنا بطاقة توصية لجمارك الروسيا ، وبقينا ليلتنا هذه نحضر لوازمنا ونستعد للسفر . ومن هذا الوقت الذي عزمنا فيه على مبارحة هذه البلدة ، بعدنا عن السفارات وشركة كوك وغير ذلك من الأشياء التي توجد في بلاد الحضارة والتمدين . وحيث أن المشقة في ظني أنها ستكون أكثر بعد مبارحتي لهذه البلدة ، دعوت الله تعالى أن يلاحظني بعين عنايته ويتولاني بحسن رعايته . وتكلمت مع وكيل رئيس جمهورية أميركا سابقا موسيو فريانكس الذي كان معنا في نيكو ، وأخبرني أنه مسافر إلى الصين معنا وأنه سيعود معنا إلى أوروبا ، إن شاء الله تعالى .

مدينة ناغويا

ثم في اليوم التالي قد توجهنا إلى المحطة الساعة السابعة صباحا ، وركبنا القطار المتوجه إلى (ناجويا) . وقد سار بنا هذا القطار في منتصف الساعة الثامنة ، وقد وجدنا معنا في العربة أربعة رجال من اليابانيين ، وفيهم رجل ضخم وبعينيه حول ، وآخر شيخ هرم نحيف الجسم يظهر عليه أنه من أسرة عظيمة وعشيرة كريمة تلوح عليه الهيبة والوقار والشرف والاعتبار ، ولكنه لضعف جسمه وانتهاك قوته لا يمكنه أن يتكلم ، ومعه رجل آخر كنت أظن أنه حكيم أو كاتب له ، لكونه كان قائما بخدمته بكل إخلاص وهمة ونشاط . وأما الرجل السمين الأحول فقد دخل في نفسي أنه القائد مرشال أو ياما[141] الذي كان قائدا عاما في حرب الصين والروس ، وأنه في سياحة بملابس غير رسمية ولم يودعه أحد عند ركوبه القطار في محطة توكيو سوى رجل ميرلاي عسكري . أما الرجل الشيخ الهرم النحيف الجسم فإنه كان مسافرا سفرا

---

(141) المارشال (Iwao) Oyama كان قائد الجيش الثاني في الحرب مع الصين (1894) ، وقائد الجيش في منشوريا خلال الحرب مع الروس (1904– 1905) .

رسميا غالبا لأنه ودعه نحو 25 رجلا . ثم إن المرشال نزل في محطة صغيرة ، ومعه خادم صغير في غاية النظافة لا يزيد سنة عن 15 سنة وهو حامل لشنطته . وبعد محطة أخرى قد نزل ذلك الشيخ ، فكان في انتظاره نحو 40 رجلا ما بين ملكي وعسكري ، ويظهر عليهم جميعا أنهم من طبقات عالية ، وقابلوه بغاية التكريم والتعظيم وصاروا يسلمون عليه بالركوع ويظهرون له غاية الخشوع ، وكل واحد منهم أخذ يقدم له ورقة زيارته مع الأدب التام . ولما سألت عنه الترجمان أخبرني أنه رئيس مجلس الأمة ، فقلت في نفسي لعلها قد أعطيت له وظيفة شرف لكونه من عائلة شريفة ، وذلك بالنسبة لكونه في غاية من الضعف وانتهاك القوى لا يطيق الكلام إلا بمشقة . وأظنه عند خروجه من توكيو كان يحدث نفسه : هل يعود إليها ثانيا بالسلامة أو يقضي عليه في غيبته ، لما هو فيه من الضعف التام والاضمحلال العام .

وبعد مضي عشر دقائق من الساعة الخامسة بعد الظهر قد وصلنا إلى ناجويا[142] وهي بلدة عظيمة مشهورة بقلعتها وبالسراي الملوكية الموجودة بها وعدد سكانها يبلغ 280,000 نفس .

وأما السراي الملوكية الموجود بها فهي قديمة البناء من مدة تزيد 1600[143] سنة . وعند ذهابنا إلى الفندق قد مررنا بشارع واسع وطويل جدا ، وهو يعرف عندهم بالشارع الكبير ، وهو شارع في غاية البهجة وجمال المنظر تحفه الأشجار من جهتيه ، ويمر به ترام كهربائي وهو مستضيء بالنور الكهربائي أيضا . وقد كان وصولنا إلى الفندق في عشرين دقيقة . ولما سألنا عن حجر للنوم قالوا لنا هل كنتم حجزتموها قبل ذلك بواسطة إرسال تلغراف للفندق ، فأخبرناهم أننا لم نفعل ذلك ، فأخبرونا أن الفندق لا يوجد به الآن إلا محلان ، أحدهما بالدور الأسفل والثاني بالدور الأعلى . ولكن لما حضر الترجمان وعرفهم بنا أعطوا لنا محلين متجاورين من أنظف محال الفندق ، وأحسنها رونقا وبهاء ، وأعدلها هواء ، وأكملها استعدادا . ولما نزلنا به رأينا أنه ليس فيه إلا نحو عشرين سائحا ، ورأينا أن خادمات هذا الفندق كلهن نساء ، ولكنهن أقل درجة في الخدمة من الفنادق الأخرى ، غير أنهن يكثرن الضحك

---

(142) مدينة Nagoya

(143) الصحيح أن بناء قلعة ناغويا بدأ سنة 1525، وأمر إياسو بتوسيعها سنة 1610 ومنحها لابنه السابع .

ويبدين الزينة ويملن كثرا إلى المداعبة والملاعبة ، وأما خدمتهن فليست بشيء يذكر بالنسبة لما هو موجود في فنادق توكيو أو نيكو أو غيرهما من البلاد الشهيرة .

وللسرر في هذا الفندق ناموسيات لأجل الوقاية من الناموس ، وإنما ذكرت هذا ليعلم أن هناك ناموسا مثل الذي يوجد في بلادنا .

وفي صباح اليوم التالي قد توجهنا لرؤية معمل يشتغل أواني فخارية من الأواني العادية الرخيصة الثمن ، فوجدت هذا المعمل يشتغل أنواعا كثيرة منها تعد بالألوف .

ومن هناك قد توجهنا إلى رؤية السراي الملوكية ، ولما قربنا منها قد رأينا في طريقنا عدة نقط عسكرية في محال قد خصصت بهم ، ورأينا ميدانا واسعا معدا لاستعراض الجيش فيه . ولما وصلنا إلى السراي وجدناها محاطة بقلعة ، وحولها جسر صناعي من الأحجار وخندق عريض غير أنه مملوء بالماء . وعند إرادة الدخول فيها ، قد طلب منا الحارس الذي على الباب الورقة التي تفيد الإذن بالدخول ، فأطلعه الترجمان على الجواب الذي معنا بذلك . فلما اطلع عليه وعرف ما فيه أذن لنا بالدخول ، فدخلنا القلعة بالعربات وسرنا بها إلى أن وجدنا أنفسنا في بستان عظيم كله فواكه وغالب شجره برقوق ، وفي وسطه بئر عميقة . ثم بعد ذلك وصلنا إلى خندق ، ووصلنا من باب كبير قديم إلى بستان آخر ، ورأينا به كشكا صغيرا وصلنا إليه بعرباتنا . ثم نزلنا هناك فوجدنا كثيرا من الخدم ، فذهب الترجمان ليريهم الأذن . ولما تحققوا منه ، طلبوا منا أن ندخل ونكتب أسماءنا في دفتر السراي . وبعد ذلك قد لازمنا خادم منهم ، وسار بنا لأجل أن يطلعنا على كل شيء يحسن الاطلاع عليه . ثم دخلنا وتوصلنا من باب للخندق إلى بستان آخر ، وهذا الباب من خشب قديم الصنع ، ومغطى بالنحاس القديم أيضا . ورأينا هذا البستان فيه فواكه كثيرة أكثرها البرقوق كذلك ، وفي وسطه بئر كالتي رأيناها في البستان السابق ، غير أنها مغطاة بشبكة من حديد للمحافظة عليها لعذوبة مائها . وبالسؤال عنها ، علمنا أنها خاصة بشرب الميكادو . ثم أرانا الخادم السراي ، فوجدناها مبنية على متراس متين من الحجر ، وهي خمسة أدوار وبناؤها من شكل المعابد الصينية . وعلى آخر سقف الدور الأعلى منها ، من الناحيتين ، سمكتان بشكل الضرفيل[144] ، وأعطانا نظارة لأجل رؤيتهما فرأيناهما ووجدناهما من الذهب ، وارتفاع كل واحدة منهما ثلاثة أمتار .

---

(144) عامية ، فصحاها : الدلفين .

ويقال إن الواحدة منهما مصنوعة من 18,000 قطعة من النقود الذهبية القديمة التي كانت تسمى (كيشوكويان) وهي الآن تقدر بثلاثة ملايين ونصف (ين) وهما في غاية من الإتقان في جودة الصنعة وحسن الشكل .

وأما السراي ، فهي من بناء أحد الأمراء البانين معابد بلدة نيكو من عائلة توكوجاوا وكان من الأغنياء المشهورين وأصحاب الثروة المعدودين . وقد قدمنا أن هذه العائلة لا تزال في غاية الشهرة ، ولا يزال منها رئيس الأمة ، وهي أغنى من الإمبراطور . وقد أعطيت هذه السراي للامبراطور والبلد هدية منهم من نحو 40 سنة . والقلعة التي بها هي في غاية من الإتقان وجمال الصنعة ومتانة البنيان ، وكل ما اشتملت عليه هو من الغرابة بمكان حتَّى إن ضباط اليوم يرون أن عمل مثلها الآن ليس في قدرة الإنسان . ومن عجيب إتقانها وغريب ابداعها أن جميع أركانها وأوجهها يمكن أن ينظر منها العدو ، مع كونها محفوظة بوقايات تقيها من وصول الضرر إليها . فسبحان من علم الإنسان وخصه بالعقل والعرفان . ولما أردنا الدخول فيها اضطرتنا الحالة إلى أن نمر من المتراس[145] الذي عليه السراي ، وهو مبني بأحجار كبيرة تشبه الأحجار المبني بها الأهرام المصرية . وبالقرب من الباب مكتوب على أحد هذه الأحجار اسم ذلك القائد الكبير والمثري الشهير الباني لها ، وتلك الكتابة بالنحت في الصخر .

وهذا المتراس المتين والحصن المنيع ارتفاعه 10 أمتار ولما دخلنا فيه وجدنا الدور الأرضي عبارة عن مخازن للجيش ، وبوسطه بئر أخرى تسمى بئر الذهب لأنهم كانوا قد ألقوا فيها كثير من الذهب ، وإن كانوا يهزمون من المتاريس الثلاث والخنادق التي في الخارج وينحصرون في الداخل يكون لهم بئر يمكنهم أن يشربوا منه ويأكلوا مما هو مدخر في المخازن . والدور الأول كله محال للعساكر غير أنهم كانوا ينامون على حصر ، بعضهم بجوار بعض ، فكانت تسع 3000 عسكري . وبجوار الحائط منافذ يمكن أن تفتح في وقت الحرب وبواسطتها تصيب عساكرهم كثيرا من عساكر العدو ، على بعد 150 مترا من الأرض . ولا يمكن العدو أن يصيب منهم أحدا ، لأن الأسلحة في تلك الأيام لم تكن تصيب إلا النقط البعيدة . ومما أرانا إياه الخادم خشب كثير سريع الالتهاب يشبه خشب الإشراق ، وأخبرنا أنهم كانوا يلقونه على الأعداء ملتهبا .

---

(145) المتراس (هنا) : الحصن ، وهو في الأصل كل مبنى يستخدم للحماية والدفاع .

والدور الثالث والرابع مثل الدور الأول سواء بسواء . أما الدور الخامس فإنه مسكن القائد وكبار الضباط . ويوجد بين هذه الغرف رحبة كبيرة في وسطها (طربيزة) من خشب ومقسمة إلى درجات ، وفيها رسم الجهات الأصلية الأربع ومؤشر عليها بأسماء البلاد الكبيرة وطرقها ، والمنظر منها إلى البلاد في غاية الجمال لعدم وجود الجبال المانعة من النظر إليها . وفي كل جهة كرسي مثل الكرسي الذي يتلى عليه القرآن في المساجد . ومما رأيته من الترتيبات ، علمت أنه يمكنهم أن يروا كل شيء في وقت الحرب وهم في أماكنهم ، فحصل لي اندهاش عظيم مما رأيته من تقدم حربيتهم وبديع صنعتهم ، حيث أني أيقنت أنهم صاروا في غاية الاستعداد ، لا ينقصهم شيء مما يلزم أن يكون في الدول العظيمة . وهذه السراي مع حسن بنيانها وبديع إتقانها ، فانها كلها من الخشب من الدور الأول إلى الخامس ، وبها قطع كبيرة من عرض 80 سنتي وطول 14 مترا ، وهي في غاية من القوة والصلابة ، ليس فيها شيء يشينها . ومن باب المزاح سألت الخادم ، هل يعلم عدد القطع الخشبية الكبيرة الموجودة في السراي ، فتبسم ولم يجر[146] جوابا ، وعلم أني أريد الممازحة . ولما لم أجد شيئا من الأثاثات المنزلية ، أخبرني الخادم أنه ليسوا في حاجة إليها لأنهم ينامون على الحصر وأن البناء من الخشب ، فهم آمنون من العوارض الجوية . ولما رأى استغرابنا من حسن هذا البناء ودقة صنعته ، ووضعه وضعا عسكريا تاما لا ينقصه شيء ، أخبرني أن شجر البرقوق الذي رأيناه في البساتين كان غرسه أيضا لفائدة حربية عظيمة ، وهي أنهم إذا حوصروا وانقطعت عنهم طرق الوصول إلى الماء ، يمكنهم الاستغناء عن الماء بأكل البرقوق لكثرة ما فيه من الماء .

وارتفاع هذه السراي من الأرض إلى نهاية الدور الخامس 95 مترا . وإنه ، وإن كان بأوروبا سرايات حربية كبيرة وقلاع كثيرة ، إلا أني لا أظن أنهم دققوا في وضعها وأبدعوا في صنعها ولم يتركوا شيئا من اللوازم مثل ما فعل هؤلاء بهذه السراي في أمة شرقية حديثة التقدم والتمدين .

وفي أثناء خروجنا ونحن في وسط البستان الأول ، قد عرج بنا الخادم على بناء لطيف ومحل صغير في غاية الإتقان وجمال البنيان وأخبرنا أنه مسكن الإمبراطور الحالي وولي العهد في أيام عمل المناورات الحربية . ولما أردنا الدخول فيه أخبرونا بأنه

---

(146) خطأ مطبعي ، والصحيح : لم يحر (والماضي : أحار) : لم يرد الجواب .

يلزم خلع النعال لأن المحل فيه فرش فاخرة وأثاثات ثمينة باهرة . ولما دخلنا فيه لم نجد شيئا من الأثاث غير حصر مفروشة ، وأحسن ما فيه أن به سقفين بنقش بديع ، وحيطانه عليها رسوم برسم أعظم من برعوا في الرسم في الأعصر القديمة .

العاصمة القديمة

وبعد ذلك رجعنا إلى الفندق قاصدين التأهب إلى السفر ، لأنه لم يبق شيء بهذا البلد يستحق التوجه إليه والاطلاع عليه ، سيما وأن السواح الذين كانوا معنا بالفندق قد سافروا إلى حيث أرادوا . وقد كان سفرنا من هذه البلدة بعد مضي عشر دقائق من الساعة الخامسة بعد الظهر قاصدين التوجه إلى (كيوتو)[147] ، فوجدنا بالمحطة الحكمدار العسكري ومعه جملة من كبار الضباط ، فسألنا عن سبب ذلك فأخبرنا أنهم ينتظرون الفريق الكونت كامورة[148] وبمجرد دخول القطار إلى المحطة ونزول السواح الذين كانوا فيه ، قد توجهنا لأجل أخذ أماكننا فوجدنا بجوارنا الفريق بملابس العسكرية ونياشينه ، غير أنه خالع جزمة الركوب ولابس نعلا بسيطا ، ومعه سبعة من الضباط غير الذين كانوا في الدرجة الثانية ، فوجدناهم كلهم مثله بالملابس العسكرية وخالعين نعالهم . فأخذت من ذلك أنهم يحبون الراحة وقت الفراغ من العمل ، بقدر ما يجهدون أنفسهم وقت الحرب والضرب . وكانت المسافة إلى كيوتو ثلاث ساعات وسبعا وعشرين دقيقة ، مررنا فيها على بلاد بها مزارع عظيمة وبلاد أخرى منظرها جميل لكثرة الجبال والغابات .

ومدينة كيوتو هي العاصمة القديمة لهذه البلاد ، وهي محاطة بجملة بساتين ورياض وجبال وأنهار ، وبقيت عاصمة لغاية سنة 1869 . ثم خلفتها مدينة توكيو وصارت قاعدة للبلاد اليابانية من ذلك الوقت إلى الآن . وعرض مدينة كيوتو ثلاثة أميال ونصف ، وطولها خمسة أميال .

وبخروجنا من المحطة قد وجدنا عربات الركشة لطيفة وعجلها باللاستك[149]

---

(147) Kyoto

(148) الجنرال كاوامورا Kawamura

(149) لعل الصحيح : البلاستك ، المادة المطاطية المعروفة .

وبينها وبين عبرات ناجويا فرق كبير . ومررنا في طرق ضيقة لا تكاد تمر منها العربات ، وهي باقية على الطراز الياباني القديم . ولم نجد منزلا واحدا مبنيا بالطراز الأوروبي ولكنها ، وإن كانت ضيقة ، فهي موضوعة وضعا هندسيا على شكل خطوط متوازية وخطوط مثلها متقاطعة معها . وكل شوارعها منورة بالمصابيح التي من الورق المختلف الأشكال الملون بالألوان اللطيفة ومكتوب عليها كتابة يابانية . وهذه المصابيح كثيرة كافية للاستضاءة حتّى إذا كانت الدكاكين مغلقة ، فلا بد من وجود تلك المصابيح عليها .

وعدد سكان هذه البلدة 380,000 [ألفا]([150]) ، وفيها 880 معبدا بوديا غير معابد المتدينين بالأديان الأخرى . ولضيق الطرق فيها ، وكونها بلدة قديمة ، ليس بها مركبات كهربائية كالبلاد الحديثة المدنية ، فلم نصل إلى الفندق إلا بعد أربعين دقيقة . وحيث أن كل منازلها ليست مبنية إلا دورا واحدا ، ظننا أن الفندق ربما يكون كذلك ولا يكون وافيا بالغرض المطلوب . ولكن لما وصلنا إليه وجدناه دورين ، ولما دخلنا فيه رأيت المحال التي قد أعدت لنا وافية بالغرض المقصود ، سيما وأن كل محل منها له حمام مخصوص مستوف وبه المياه الحارة والباردة وجميع ما يلزم . وكل غرفة لها شرفة لأجل الجلوس فيها ، إذا أراد الإنسان ذلك . ثم نزلنا إلى محل الأكل فوجدناه محلا لطيفا ، ووجدنا الطعام على ما ينبغي . وفي ثاني يوم قد ركبنا عربات وتوجهنا إلى الضواحي ، وطلعنا فوق قمة جبل لأجل زيارة معبد شهير ، ووجدنا المنظر من هناك على البلد جميلا . وقد ألجأتنا ضرورة الوصول إلى هذا المعبد أن نترك العربات ونمشي راجلين ، ونصعد على درجات حتّى وصلنا إلى قطعة مستوية مبنية بأحجار محاطة بدرابزين أمام المعبد . وهذا اليوم كان موعد ورود الوفود من جهات مختلفة لزيارة هذا المعبد . وبعد الاطلاع على هذا المعبد ورؤية ما اشتمل عليه رأيناه لا بأس به إلا أنه ليس بشيء يذكر بالنسبة للمعابد التي رأيناها في نيكو . وعند رجوعنا من زيارة هذا المعبد قد رجعنا من طريق أخرى ، فوجدنا بها دكاكين كثيرة من جهتيها ، وهذه الدكاكين قديمة البناء وفيها كثير من الأشياء القديمة . ولغلو ثمنها وعدم أهميتها لقلة استعمالها لم نشتر منها شيئا . ثم أخبرنا الترجمان أن أحسن المصنوعات الجميلة هي الموجودة بتوكيو . وبعد ذلك دخلنا في بعض الدكاكين

(150) (ألفا) كلمة زائدة خطأ .

الكبار ، فوجدناه عبارة عن معرض يوجد به أشياء كثيرة وأعظمها ما هو آت من بلاد الصين ، فإنه حسن في الرسم ، دقيق في الصنعة . وبعد ذلك قد ذهبنا إلى بعض الدكاكين لشراء مراوح يابانية ، فوجدت أن المراوح المشغولة بأوروبا على اسم يابانية أحسن من هذه في الوضع ، وأتقن منها في الصنع .

وفي اليوم الثاني قد توجهنا لزيارة المتحف التجاري ، فوجدناه في عمارة رفيعة البنيان مشيدة الأركان وفيه جميع المصنوعات البلدية ، وهي تباع بأثمان مناسبة وبقيمة محدودة ، يستوي فيها البعيد والقريب والوطني والغريب . وكان القصد من توجهنا إليه أن نطلع عليه ونعلم إن كانت أثمان الأشياء الموجودة به كالأثمان التي يباع بها في الخارج أم لا . وتعرفنا برجل هناك يدعى موسيو نشوموره أخبرنا أنه كان له أخ بإسلامبول ، وهما يحبان المسلمين . والذي عرفهم أننا مسلمون مساومتنا السبح والسجاجيد والحرير ، فقلت إن هذه الأشغال تشبه ما في بلدتنا ، فدار الحديث بيننا حتّى عرفنا . ثم أظهر لنا حبه للمسلمين كثيرا والديانة الإسلامية . ثم أخذ يسألنا أسئلة كثيرة في الشريعة الإسلامية . ومن الأسئلة ، أي ترجمة باللغة الإنجليزية للقرآن الشريف أحسن من غيرها . وقد أخبرنا أنهم قد بحثوا كثيرا في أصول الديانات المختلفة غير الإسلامية ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى شيء من مباحث الديانة الإسلامية ، وأنهم يودون ذلك كثيرا . وقد حمدو الله تعالى حيث أنهم قد عثروا على مسلمين عسى أنهم يدلونهم على شيء من أصول هذه الديانة الشريفة . فأخبرناهم أن القرآن الشريف نزل باللغة العربية وأنه مهما ترجم إلى أي لغة أخرى ، فإنه لا يمكن ترجمته على حقيقته . وبعد تبادل الحديث بيننا قد أعطانا ورقة زيارته ، وطلب منا أن نعطيه أسماءنا كذلك فرجوت عزيزي علي بك رضا أن يعطيه ورقة التعارف والزيارة ، وكتبت له اسمي مجردا عن كل لقب فسر بذلك سرورا كثيرا وأظهر الشكر والممنونية ، وقابلناه بمثل ذلك عملا بقوله تعالى ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾(151) وأداء لواجب الإنسانية والحالة العصرية المدنية . وفي اليوم التالي قد أرسل لنا يريد معرفة الوقت الذي يمكنه زيارتنا فيه ، فأخبرناه أنه يمكنه ذلك في الساعة الخامسة بعد الظهر . وبمجرد مجيء ذلك الوقت الذي حددناه له قد أتى كما وعد . ولما دار الحديث بيننا ، أخبرنا أنه مستعد لقضاء أي مصلحة من مصالحنا

---

(151) النساء : 86 .

وأي خدمة تلزم لنا ، ثم حذرنا من التجار اليابانيين وقال لنا إنهم يطلبون أثمانا عالية بعيدة عن الحقيقة بعدا شاسعا ، فشكرناه على ذلك . وفي اليوم التالي لذلك اليوم أصبح الهواء جيدا . وقد رغبنا رئيس الفندق في زيارة شلال (هودزو)(152) فالتزمنا أن نأخذ القطار الذي يسير في منتصف الساعة التاسعة إلى محطة صغيرة تسمى (كصيؤكا)(153) ومنها قد مشينا عشرين دقيقة حتّى وصلنا إلى قرية تسمى (هوزرو)(154) ، فوجدنا بها زوارق كثيرة من الزوارق الصغيرة . وكان بالقطار كثير من السواح حتّى إنه من شدة الزحام قد اضطروا لنقل أناس من الدرجة الثانية إلى الدرجة الأولى . ولذلك قد أرسلنا تلغرافا لأجل أن يحفظوا لنا زورقا ، ومع ذلك ، وكوننا قد وصلنا أولا قبل غيرنا ، لم يعطونا زورقا . وكلما خاطبنا واحدا من رؤسائهم يحيل على الآخر حتّى بقينا كذلك نحو ربع ساعة . وفي هذه المدة ، كان قد ركب جميع اليابانيين حتّى ركاب الدرجة الثالثة ، فحصل لنا تعب شديد من ذلك . ثم وجدنا سائحا فرنسيا ، لما وجد هذه المعاملة السيئة ، نزل في زورق مستعد للسير بدون ورقة ، وسار به . وبعد ذلك قد أخبرونا أن المطلوب ثمانية(155) وعشرون زورقا وأنها موجودة كلها إلا أنه لم يوجد من الخدم ما يكفيها ، فاستغربت من هذه المعاملة ، مع كوننا من ركاب الدرجة الأولى وندفع أضعاف ما يدفع هؤلاء اليابانيون الذي اعتنوا براحتهم . ولما لم نجد راحة رجعنا إلى المحطة وعزمنا على العودة من حيث أتينا وصرفنا النظر عن رؤية ذلك الشلال ، وبعد وصولنا إلى المحطة بهذه الحالة ومكثنا عندها نحو ثلث ساعة ، حضروا وأخبرونا أنهم جهزوا مركبا وأكثروا من الرجاء والاعتذار عن التأخير ، وأخذوا يرغبونني في رؤية ذلك الشلال ، فرجعت معهم ومشيت المسافة التي مشيتها في الذهاب ، فوجدت المركب مستعدة وأرضيتها مسقفة(156) ، وفيها رجلان يجذفان أحدهما من الأمام والآخر من الخلف . وكل ذلك التأخير قد بلغ ساعة ونصفا ، وكان الكدر قد بلغ غايته والتعب منتهاه . والعادة

---

(152) الاسم الصحيح : منحدرات هوزو Hozu Rapids

(153) لعل الصحيح (كميؤكا) Kameoka ومنها تنطلق النزهة النهرية إلى أراشيياما Arashiyama

(154) انظر الهامش 140 .

(155) في النص (ثمان وأربعون) .

(156) الصحيح : مفروشة .

عندهم أن يجلسوا في السفن مربعين ، ولكنهم أحضروا لنا كراسي للجلوس عليها . وبعد ما دفعنا 6 ين أجرة المركب ، سارت بنا في ذلك النهر ، وبعد خمس دقائق أخذ النهر في الضيق ودخلنا بين جبلين عاليين متقاربين ، واشتد تيار الماء فتركوا التجذيف ثم أخذ كل واحد مدارة وصاروا يباعدون المركب عن الحجارة الموجودة في وسط النهر وشواطئه ، وهم في غاية الحذق ، حتّى إن المركب صارت تمر بين الأحجار كأنها سمكة مائية ، فكان الراكب عند دخولها على الصخرة يظن أنها تقابلها لا محالة ، وعند قربها منها يبعدونها عنها بغاية السرعة حتّى تمر بجوارها ملاصقة لها بدون حصول أدنى خطر . وفي بعض مواضع الشلال كان الماء قليلا حتّى كنا نشعر باحتكاك الزورق على الصخور . وبقينا كذلك مدة ساعة وربع ، والمناظر في غاية من الجمال لكونها طبيعية . وهذا النهر فيه كثير من السمك ، ولذلك كنا لا نمر على جهة إلا ونجد فيها كثيرا من الصيادين ومعهم كثير من السمك ، وهم على قرب من الشاطئ . وقرب وصولنا إلى (إياشيما) قد وجدنا الزوارق التي سبقتنا راجعة . ولشدة تيار الماء لا يمكن تركها ونفسها ، ولذلك قد أجروا لكل واحدة رجلين زيادة على الذين في المركب لأجل شدها بالحبال ضد التيار حتّى لا يحصل لها خطر من سرعته ، ويستمرون على ذلك نحو ثلاث ساعات ونصف حتّى يقطعوا ما قطعناه في ساعة وربع . ولما رست المركب وجدنا المرسى في متنزه عظيم يحوطه بستان وأشجار جميلة . ولموافقة هذا اليوم للأحد كان به كثير من الناس . وأخبرنا الترجمان أن اليابانيين كانت عادتهم أنهم لا يستريحون من العمل إلا في اليوم الخامس عشر من الشهر والتاسع والعشرين منه . ولكنهم الآن بالنسبة لمدنيتهم الحديثة وتقليدهم أهل أوروبا صاروا يستريحون في أيام الأحد أيضا . فركبنا عربات (ركشة يجرها الرجال) وكان بيننا وبين الفندق نحو 8 كيلو مترات فساروا مسرعين بدون انقطاع ، حتّى أوصلونا إليه في نحو ثلاثة أرباع ساعة[157] . ومررنا على كنيسة للكاتوليك وأخرى للبروتستنت ، وزرنا أيضا السراي المسماة سراي الذهب وذلك لكون سقفها كلها مطلية بماء الذهب وحيطان حجراتها أيضا وشكلها ونظامها كسائر البيوت اليابانية موضوعة في وسط بستان لطيف ، وأمامها بركة صغيرة صناعية ، وبها كثير من النباتات المائية اللطيفة ، وسمك أحمر حسن اللون والشكل يظهر على قدم المدة

(157) الساعة .

وطول المكث .

وبعد ذلك توجهنا لمشاهدة بستان الحيوانات ، فوجدنا به حيوانات لكنها ليست كثيرة كالحيوانات الموجودة في بساتين الحيوانات بأوروبا ، وحملنا ذلك على كونها حديثة العهد بخلاف بساتين أوروبا .

ورأينا أن المدافع المأخوذة من الموسكوف منتشرة عندهم في كل البلاد والبساتين والمعابد ، تشجيعا للأمة ، وتربية للشبان لتعودهم من نشأتهم على الوطنية .

وكيوتو هي بلدة كسائر البلاد اليابانية ، وجميع أهلها متعودون على الأشغال من حداثة سنهم حتَّى إن الأطفال الصغار يعودونهم على حمل الأثقال وجر العربات لأجل أن تقوى أعضاؤهم ، وتنمو قوتهم ، ويتعودوا من حداثة سنهم على تحمل المشاق والمتاعب . ومن النادر هناك أن يرى الإنسان رجلا فاقد البصر أو يجد شخصا مقعدا ، ولكن الأمراض الجلدية منتشرة عندهم خصوصا القراع . وفي اليوم التالي لذلك اليوم قد ابتدأ المطر بشدة . وحيث أن من المعتاد في البلاد اليابانية ، لما يجيء المطر يستمر أشهر متتابعة مطرا خفيفا وتشتد رطوبة الجو ، فبعد زيارة كل المعابد والبساتين والدكاكين ورؤية كل ما يلزم الاطلاع عليه من المتاحف وغيرها ، قد عزمنا على السفر في غروب اليوم الثاني .

ثم أخبرنا أنه في ذلك اليوم ستباع أشياء كثيرة بطريق البيع[158] العلني . وهذه الأشياء هي تابعة لمعبد من المعابد ، يراد بيعها للحصول على نقدية لازمة له لأجل تصليح فيه ، لأن العادة عندهم أن يهدوا المعابد بهدايا ، وهذه الهدايا يعمل منها متحف تابع للمعبد . ثم إذا اضطروا إلى نقود لازمة للمعبد يبيعون شيئا منها لا يكون شديد اللزوم لأجل الحصول عليها . وهذه الأشياء كانت موضوعة لأجل رؤيتها ، قبل إشهار مزادها بيومين ، في بيت لأحد الأغنياء قد تبرع بوضعها فيه إكراما للمعبد فتوجهنا للتفرج عليها فرأينا أن أغلبها عبارة عن ملفات ورق قديم فيه بعض أشياء تاريخية أو دينية أو غير ذلك مما لا يهمنا في شيء ، وبعض كتب وصور برسم أعظم المصورين القدماء عندهم ، وبعض أشياء نحاسية أو خشبية أو غير ذلك . وأحسن ما

(158) يقصد : المزاد العلني .

رأيناه صنية[159] كبيرة من الباغة[160] التي في غاية الجمال ، فرغبت فيها ووددت شراءها لأني لم أجد باغة كبيرة مثل هذه ، فأخبرني الترجمان أنها معرضة للعطب والتلف لأنها لو وقعت على الأرض تنكسر توا ، فرغبت عنها وتركتها . وعند خروجنا قد وجدنا المطر قد اشتد حتّى صار كثير من الناس يمشون حفاة ويقلعون القباقيب الخشبية مع كونها زهيدة القيمة وعرضة للتلف ، وأنهم في الأيام الحارة يبلونها بالماء لأجل أن تصير رطبة ، ولم أعرف السر في ذلك .

إلى كوبِه

وعند رجوعنا إلى الفندق ، لما علم التجار أننا عزمنا على السفر وجدنا الكثير منهم صار يعرض علينا البضائع بتنزيل نحو 40 أو 50 في المائة . ثم جاء وقت السفر ، فتوجهنا إلى المحطة لأجل أخذ القطار إلى (كوبه)[161] وهي مينا شهيرة ، وبينها وبين كيوتو ساعتان وعشر دقائق بالقطار السريع بالسكة الحديدية . وفي منتصف الطريق تقريبا ، قد مررنا على بلدة تسمى (أوساكا)[162] وهي بلدة كبيرة وكانت في بعض الأزمان مقر حكومة اليابان واليوم هي مقر الفبريقات الصناعية اليابانية وعدد سكانها يبلغ 1,000,000 من الناس وعند دخول القطار عليها يرى الراكب فيه كثيرا من مداخن فبريقاتها وهي كسائر المدن الكبيرة على شاطئ نهر يسمى (يودوجافا)[163] ومسطحها 8 أميال مربعة ، وبها سراي وقلعة مثل اللتين رأيناهما بناجويا ، غير أنهما حصل لهما حريق من نحو 200 سنة ولم يبق منهما إلا أثرها .

ولم نزل سائرين حتّى وصلنا إلى كوبِه فرأيناها بلدة مستطيلة على شاطئ البحر ، وبها كثير من الناس المختلفي الملل والأجناس ، وعدد سكانها يبلغ 30,000

(159) صينية .

(160) الباغة (عامية) : مادة صلبة شفافة من السيليلوز .

(161) مدينة كوبيه Kobé

Osaka(162)

(163) يودو- غاوا Yodo-gawa ؛ (كاوا ، غاوا) معناها : نهر (في اليابانية) ، والأمير يكتبها حسب اللفظ الفرنسي .

[ألفا][164] وتجارتها كثيرة جدا حتّى إنه في سنة 1906 كان مجموع التجارة الداخلة والخارجة يبلغ ثلاثين مليون ين . ومنظرها في غاية من الجمال لأنها موضوعة على شكل قوس على البحر ، وهي شبيهة بمينا نابلو[165] الشهيرة بحسنها ورونقها وكان الوصول إليها الساعة 7 مساء ، فأخذنا العربات التي تجر كل واحدة منها بواسطة رجلين لكون الفندق في محل مرتفع يعسر الوصول إليه . ثم سرنا إلى أن وصلنا إليه فوجدناه في غاية البهجة والجمال ومبانيه في غاية الافتخار ، وهو على الشكل الأوروبي ، لكونه حديث العهد لأنه لم يفتح إلا في السنة الماضية .

وبوصولنا إليه أحببت أن أعطي لجارّي العربة شيئا على سبيل المنحة ، وحيث أن العادة عندهم أن النقود التي تعطى لمن يركب نصف اليوم من بعد الظهر مثلا هي خمسون سن أي أربعة قروش ، فلما أعطيتهم كثيرا ظنوا أن الذي أعطيته لهم هو الأجر فامتنعوا عن أخذه فصرت أفهمهم أن هذا غير الأجرة فلم يفهموا ولم يقبلوا لعدم فهمهم . ولما دفعت لهم الأجرة بعد ذلك من الفندق ، وتحققوا أن الذي كنت أريد إعطاءه لهم هو غيرها ندموا على عدم أخذه وصاروا يشتمون الرجل الذي كان سببا في ذلك .

ولما دخلنا المحال التي أعدت لنا وجدناها على أحسن ما يرام من حسن الرونق وتمام النظام . ووجدنا الأثاثات كلها من الطراز الإنجليزي ، وكل حجرة حتّى حجرات الخدم لها حمام مخصوص وما يتبع ذلك من اللوازم . ولما نزلنا إلى المطعم وجدناه محلا لطيفا في غاية من النظافة وحسن النظام ، إلا أن الأكل ليس على الهيئة الإنجليزية والشكل الأوروبي ، بل هو قليل جدا كالعادة المتبعة في سائر فنادقهم . وفي الصبح قد خرجنا للتفرج على البلد ، فوجدنا جزءا عظيما على الشكل الأوروبي كأنها قطعة من بلاد أوروبا ، وذلك لأن اليابان كانت قد أعطتها للأوروبيين ليقيموا فيها لما كانت في حالة الضعف . ولما أرادت أخذها أخيرا ، عرضت المسألة على مجلس التحكيم الدولي بلاهي[166] عاصمة هولاندا فلم يرض بردها إليهم ثم وجدنا في هذه الجهة فنادق وجملة صيدليات إنجليزية وألمانية وبعد ذلك مررنا على السكة

---

(164) (ألفا) كلمة زائدة .

(165) ميناء نابولي Napoli في إيطاليا .

(166) أمستردام هي العاصمة اليوم ، وليست لاهاي .

الكبيرة التي هي أكبر سكة بها فوجدنا بها كثيرا من الدكاكين ومن غريب ما رأيته أني رأيت مراوح يابانية مرسوما على أحد وجهيها صورة الحضرة الفخيمة الخديوية وبجواره العلم المصري فسألت عن ذلك فاخبرت انها عملت بطلب أحد تجار بورت سعيد ورأيت كثيرا من الصينيين حتّى أخبرني الترجمان أن البلد بها 150,000 [ألف][167] صيني وبها نواد كثيرة من ضمنها ناد للصينيين ، وأغلب البويجية[168] وكتاب البنوك والخياطين من الصين .

ومما يستغرب أن الصينيين في اليابان أنظف منهم في بلادهم ، بل إنهم أنظف من اليابانيين أنفسهم . والمناظر كلها واحدة وغاية الأمر أن في هذه البلدة كثيرا من الخيزران . ووجدنا في بوغازها وابورا حربيا نمساويا . ثم رجعنا إلى الفندق وقابلنا صاحبه وأخبرناه عن حالة الذين يجرون العربات وسوء صنيعهم ، وأنهم أقل من غيرهم ممن هم في الجهات الأخرى أدبا وأخلاقا ومعاملة ، فأخبرني أن هؤلاء بالنسبة لكونهم يعاملون البحارة الذين يحضرون على المراكب الحوشيي[169] الطباع قد أخذت طباعهم منهم حتّى صارت طباعهم سيئة مثلهم . وأخبرني أنه في غاية الضيق منهم . ولذلك فإن الفندق له سبع عربات قد غير عليها في السنة الواحدة ثلاثين رجلا ، فأخبرته أنه من ضمن أحوالهم معنا أنهم يطلبون منا أن نخرج للفسحة معهم ، حتّى إذا خرجنا إليها يمشون بنا الهوينا ولا يريدون أن نقف عند شيء من الأشياء التي يحسن الاطلاع عليها كمحال التجارة وغير ذلك ، ويسرعون السير حتّى يصلوا إلى جهات غير ممدوحة لا يصح للإنسان الوجود فيها ولا النظر إليها . ومهما حذرهم الإنسان عن ذلك وأخبرهم أنه لا رغبة له فيها فلا بد من مرورهم به عليها .

وبعد الظهر من ذلك اليوم قد تراكم السحاب وابتدأ المطر والرعد واشتد الهواء . ولكن الفندق حديث البناء فقد دخل المطر من جميع جوانبه . ولخوفي على استدامة المطر وتراكمه ، وعلمي أن حالته لا تكون سارة ، ابتدأت أن[170] أسأم من الإقامة باليابان لكثرته فيها فحاسبت أصحاب الفندق على المدة التي أقمتها فيه وأخبرتهم

---

(167) كلمة زائدة ، هذا الخطأ يتكرر في أكثر من وضع .

(168) ماسحو الأحذية .

(169) حوشيو الطباع : غلاظ ، أجلاف .

(170) (أن) هنا زائدة لاضرورة لها .

أنهم يوقظوننا الساعة 6 ويحضرون لنا شيئا من الزاد صباحا لأجل أن نتوجه لأخذ القطار إلى (مياجيما)[171] . وعند الصبح قد قام خادمي قبل خادم الفندق وأيقظنا فنزلنا لأجل أخذ طعام الصباح . وحيث أن الفندق بمحل مرتفع ، وأن الوصول إلى المحطة في غاية السهولة وددت أن أسير إليها راجلا وأترك المتاع للخادم يوصله إليها ، فمشيت وكان المشي في الصباح جميلا ، غير أن المسافة كانت قريبة مثل المسافة التي بين النيل وقصر النيل . ولما وصلنا إلى المحطة كان وقت قيام الوابور قد قرب ، واستغربت لتأخير المتاع ، مع كونه كان يلزم أن يصل قبلنا بكثير ، فأخبرني بواب الفندق أن عادة اليابانيين معاكسة الأجانب دائما . وحيث أن الفندق لشركة انجليزية ، فهم يعاكسونهم لأجل عدم نزول السواح عندهم مرة ثانية .

جزيرة مياجيما

ثم سار بنا القطار إلى (مياجيما) وكان به ثلاثة من اليابانيين يستدل من هيئتهم أنهم تربوا ببعض عواصم أوروبا ، أحدهم ضابط ويستدل من كلامه على أنه قد تربى تربية طيبة ؛ وأما الآخران فيؤخذ من كلام أحدهما وحركاته أنه رجل مشخص . وعند الظهر قد توجهنا إلى عربة الأكل لتناول الطعام ، فوجدناهم فيها ورأيناهم يشربون شرابا مأخوذا من الأرز يقال له ساكيه[172] ولما رجعوا خلع أحدهم شرابه[173] وأخذ يلعب أصابعه لما حصل له من نشوة الشراب . وقد مر بنا القطار على بلدة تسمى (هيروشيما)[174] وهي من أكبر مينات اليابان البحرية وهي المينا التي كان يحصل منها تعبئة الجنود اليابانية في حرب الصين والمسكوف ثم نظرنا على بعد فوجدنا مركبين حربيتين موضوعتين لاجل تمرين الضباط والتلاميذ وتعليمهم .

وفي حالة وقوفنا بالمحطة قد ضم إلى الوابور عربة من الدرجة الأولى ووضعوا فيها

---

(171) Miyajima

(172) Saké ، لكن اليابنيين يضعون قبله O تأدبا واحتراما .

(173) يقصد (جرابه) .

(174) Hiroshima تقع على البحر الداخلي ، وهي أول مدينة قصفها الاميركيون بالقنبلة الذرية في 1945/8/6 .

باقات ورد ، فلما سألنا عن سبب ذلك قالوا إنه لوكيل جمهورية أميركيا سابقا الذي سبق الكلام عليه . ثم سار القطار قاصدا مياجيما . وكانت مقابلة هذا الوكيل رسمية ، مع كون سياحته غير رسمية . ولما وصلنا إلى مياجيما أخبره ترجمانه أني شقيق خديوي مصر المعظم ، فسر بذلك سرورا كثيرا وأكثروا من التلطف والحفاوة والإجلال .

ومياجيما هي عبارة عن بلدة صغيرة وكلها تعتبر عندهم مقدسة ، لأنها كلها معابد . وهذه الجزيرة من ضمن ثلاثمائة جزيرة موجودة على شواطئ البحر المسمى عندهم البحر الجواني ، وهي في غاية من حسن المنظر حتّى إنه يحتم على كل سائح يأتي إلى تلك البلاد أن يزورها لما احتوت عليه من جميل الآثار وحسن المناظر الطبيعية . ثم ذهبنا من المحطة إلى الرصيف ، ومنه قد أخذنا مركبا صغيرة حتّى وصلنا إلى مياجيما . وحينما وصلنا إليها كان البحر فيه مد وجزر[175] ، فلما حصل الجزر لم نتمكن من الوصول إليها إلا بعد مدة . ولما وصلنا إلى الفندق أخبرنا رئيسه أنه ، بالنظر لكثرة وجود السواح ، قد أرسل لنا تلغرافا لأجل أن نتأخر يومين ، ولكن هذا التلغراف لم يصل إلينا فلم نؤخر سياحتنا . وهذا الفندق عبارة عن خمسة محال (كشكات) من الخشب المسمى في الهند بنجلو ، وكل واحد منها ما بين ثلاث أو أربع أو خمس أود[176] وكانت كلها مشغولة . وهذا الفندق موضوع في وسط حوض بين جبلين ، وفيه مصب الماء من أعلى الجبل . وقد تأخر المتاع ساعتين حتّى إنه قد عدى من البحر ووصل إلينا . ولما طالعنا لأجل أن ننظر قدومه وجدنا جملة من الغزلان والثياتل[177] وكلها مستأنسة ومملوكة لأهالي الجزيرة . وبعد ذلك قد توجهنا إلى المطعم فوجدناه محلا لا بأس به ، وقضينا ليلتنا هذه بخيرحالة . ثم لما أصبح الصباح توجهنا لأجل التفرج على البلد فمررنا بطريق واسعة ، ووجدنا بها كثيرا من الغزلان والثياتل ، ووجدنا نسوة يبعن بعض حبوب في قراطيس[178] والناس يشترونها منهن ويرمونها لهذه الغزلان والثياتل . ومع كونها مستأنسة ، لو وجدت من

---

(175) كلمة (جزر) هنا زائدة ، واقتضت الأمانة أن نتركها كما وردت .

(176) (أود) جمع (أودة) : أوضة (عامية من أصل فارسي : أوطاق) : حجرة ، غرفة .

(177) ثياتل (جمع ثيتل) : حيوان بري من بقر الوحش الأفريقي .

(178) قراطيس : جمع قرطاس وهو الورق ، والمقصود هنا قمع من الورق .

الإنسان أي حركة تنزعج منها ومن أجمل ما وجدته في تلك الطريق أن بها فوانيس من حجر موضوعة على أعمدة من الحجر أيضا ، وهي في غاية من حسن الصنع وجمال الوضع لأنها من الأشغال الصينية . وكنا وددنا أن نأخذ بعض الصور فأخبرنا أن الفتوغرافيا ممنوعة بهذه الجزيرة لأمرين ، (الأول) أنها مقدسة وأن جميع ما فيها كذلك وأنهم يحرمون أخذ صور الأشياء المقدسة احتراما لها وتعظيما وتكريما ، (الثاني) أنه ممنوع منعا كليا المرور بحيوانات مزعجة لهذه الغزلان والشياتل المقدسة ، كالكلاب مثلا ، حتّى بلغ من تعظيمهم أنه لا يوجد حتّى عربات الركشة ، مخافة من انزعاجها . ثم مررنا على عدة دكاكين في أكبر شارع فيها ، فوجدنا الأشياء التي بها لا تستحق الذكر . ومنه قد وصلنا إلى المعبد الكبير المشهور الذي قد مضى عليه أكثر من عشرة قرون . وشهرته أنه مبني على أعمدة من الخشب موضوعة في الماء ، ولم يحصل لها أقل تأثير مع قدم العهد وطول المدة ، وكله مصنوع من الخشب أيضا . وقد اشتمل على كثير من محاسن الصنائع وبدائع البدائع ، وأنه متى حصل الجزر ينكشف عنه الماء ، ومتى حصل المد يدخل في الماء . وعلى نحو مائة متر من رحبة ذلك المعبد ، يوجد باب في وسط الماء بشكل أبواب المعابد للدخول منه إليه من الماء ، وارتفاع هذا الباب 16 مترا وعرضه 30 مترا ، وهو مبني من قطع كبيرة من الخشب ، كل جانب منه كأنه قطعة واحدة . والذي بناه هو أحد الأمراء الذين كانوا قوادا للجيش بعد ما هزم كوريا تذكارا لذلك . وتعظيما للمعبد أيضا أن الواصل إليه يمر على عدة طرق مسقّفة ، وموضوع بجوانبها أعمدة من الخشب أيضا وكلها موضوعة على البحر ، وفيه كثير من القسوس والكهنة والراهبات والعاكفين على العبادة . وإذا أعطى الإنسان شيئا من النقود لهؤلاء الراهبات ، يرقصن رقصا خاصا قديما بالملابس القديمة الدينية . ولما رجعنا وجدنا امرأة تبيع قراطيس من القمح ، فاشترينا منها بعض هذه القراطيس . ثم إنها دقت جرسا ، فبمجرد سماع صوته جاءت حومة كبيرة من الحمام التابع للمعبد وأكلته .

وبعد الظهر قد اطلعنا على باقي البلد ، فوجدنا أن أغلب أهاليها من صيادي السمك .

وفي هذا اليوم قد سافر كثير من السواح ، وحضر غيرهم . وفي اليوم التالي قد زرنا معبدا آخر فوجدنا فيه حصانين مقدسين وعشرة أشخاص يخدمونها . وشاهدنا أمام المعبد حصانا كبيرا مصنوعا من البرنز ومكتفا بأحبال ، خوفا من الهرب في

اعتقادهم . ومن مزاعمهم أن الحصان متى بقي في خدمة الإله فإنه لا بد أن يكتسب اللون الأبيض ، مهما كان لونه الأصلي . وبعد زيارة هذا المعبد قد توجهنا إلى زيارة معبد سواه فوجدنا فيه رحبة كبيرة ، وفي هذه الرحبة ألوف من قطع الخشب مسمرة في الحيطان ، ومكتوب عليها أسماء بالخط الياباني وغيره . ومن اعتقاداتهم أن من كتب اسمه ووضعه مع هذه الأسماء ، وكان مسافرا إلى حرب أو سياحة أو تجارة أو غير ذلك ، فإنه لا بد أن يعود سالما غانما آمنا من جميع الطوارئ . ثم طلبوا مني أن أشتري قطعة وأكتب فيها اسمي وأضعها تبركا فلم أمانع في ذلك ، وكتبت اسمي واليوم الذي حضرت فيه وأعطيتهم ما طلبوه وهو 20 سن[179] والذي يظهر أنهم يحترمون التي توضع من اليابانيين ، وأما قطع غيرهم فإنهم يرفعونها بعد ذلك ، فإذا جاء الشتاء جعلوها وقودا لهم ، وإنهم قد انتفعوا بثمنها . وإلا فلو بقيت هذه الأخشاب موضوعة من سنين عديدة ومدد مديدة لضاق المحل عنها ، ولو وضع بعضها فوق بعض .

وفي اليوم الذي اطلعنا على الجرائد فوجدنا فيها أنهم باعوا فنجان شاي وإبريقها بثمن 2500 جنيه ، ومحبرة قديمة بلوازمها الكتابية بمبلغ 200 جنيه ، وهذه الأشياء هي من أشياء معبد كيوتو التي تكلمنا عليها فيما سبق ، وهي وإن لم تساو هذه القيمة ، فإنهم يشترونها بها مساعدة للمعابد وحبا فيها وخدمة لها .

وفي اليوم التالي قد أصبح الهواء معتدلا والجو رائقا والسماء مصحية ، فرأينا أن هذه الفرصة لزيارة المعبد الذي على قمة الجبل . ولما أخبرونا أن هذا المعبد في محل في غاية الارتفاع وأن الواصل إليه لا بد أن يجتاز 20,000 ألف درجة حتّى يصل إليه ، رأينا أن هذا أمر صعب وتعب كثير فأخبرونا أن هناك رجالا يحملون الإنسان وهو جالس على كرسي من الخيزران حتّى يوصلوه إليه وسهلوا لنا الأمر ، فتوجهنا إليه ووجدنا هذه الكراسي يجلس فيها ويحمل كل واحد منها أربعة رجال ، كل اثنين من جهة . والذي يظهر في الأمر أنها سهلة ، ولكنها في الحقيقة متعبة تعبا كثيرا ، سيما وأن السلالم ليست مستقيمة ولا منتظمة ، بل هي منحنية ومنحوتة في نفس الصخر ، ولذلك ترى هؤلاء الحمالين يتعبون تعبا شديدا ويستريحون في كل 5 دقائق . وفي بعض هذه السكة ، كان الإنسان يرى نفسه على شفا جرف من الجبل

---

(179) (سن Sen في اليابانية) معناها ألف ، وهذا خطأ ، لعل المقصود : سنت .

فيحصل له انزعاج . وبعد ساعتين و45 دقيقة ، قد وصلنا إلى ذلك المعبد فرأينا أن المنظر من هناك في غاية الجمال ، مع كون السحاب كان قد ستر ضوء الشمس ؛ ولو كانت الشمس مضيئة لكان المنظر أجمل من ذلك . وبمجرد وصولنا قد جاءنا قسيس بدفتر معه وطلب منا كتابة أسمائنا فيه ، وأن يأخذ على ذلك ين ، فكتبنا وأعطيناه . وبعد مكثنا هناك نحو ثلث ساعة شاهدنا فيها هذا المعبد واستراح الحمالون ، قد عدنا وكان النزول أشق وأصعب وأشد وأتعب . ولانحدار الطريق وكونها محفوفة بالخطر ، كان يوجد فيها على كل نحو 5 دقائق كشك صغير . ووجدنا في وسط الطريق محلا للاستراحة ، وفيه امرأة تبيع أشياء مرطبة كالشاي ونحوه فاسترحنا هنالك . وفي هذا الوقت ذهب الحمالون إلى الصلاة في معبد هناك . وفي هذا المعبد قدر كبير جدا من أعجب ما صنعته يد الإنسان . وبعد الاستراحة ركبنا وسرنا حتّى انتهت الدرجات ورجعنا بحمد الله سالمين ، ووصلنا إلى الفندق وتكلمت مع ناظره وأخبرته بأحوال هؤلاء الحمالين وعدم معرفتهم ، فأخبرني أن هذه ليست حرفتهم ، وإنما حرفتهم صيد السمك . وغاية الأمر أنهم يفعلون ذلك لضرورة احتياجاتهم ولجلب المنفعة لأنفسهم بما يأخذونه من النقود من السواح . وأخبروني أن القسوس إذا أخذوا مقدارا معينا من النقود من الشخص ، يضيئون له جميع تلك الفوانيس الموجودة على شاطئ البحر بجوار المعبد الكبير ، فعزمنا على رؤية ذلك . ولكن قد نزل المطر بشدة ، فلم يمكنا أن نبقى حتّى نعطيهم هذه النقدية ونرى هذا المنظر . وفي ثاني يوم قد عزمنا على السفر بعد الظهر . وفي الساعة الثانية عشرة أجرنا زورقا يسمى (صان بان) وهي زوارق يابانية مستوية الظهر ، وفي مقدمتها عريش[180] صغير مصنوع من البوص[181] الصيني ، وهو قليل الارتفاع جدا بحيث أن الجالس فيه لا يمكنه أن ينصب قامته بل يجلس منحيا . وحيث أن المطر كان نازلا بقوة وكان الريح قليلا فلم يستطع النوتي أن يفرد قلعها[182] . وبعد نصف ساعة وصلنا إلى الشاطئ الذي به المحطة ، ثم مكثنا بها مدة إلى ان جاء القطار السريع فركبنا ثم سرنا إلى (شيمونوزيكي)[183] ولما ركبنا

---

(180) عريش : سقيفة أو خيمة صغيرة .

(181) البوص : نوع من النبات يشبه القصب ؛ وهو أيضا الحرير الأبيض أو الكتان .

(182) القلع (بكسر القاف) : الشراع .

(183) شيمونوسيكي Shimonoseki

بهذه القطار وجدناه احسن من كل قطار رايناه في طريق اليابان وكان به ضابطان زي احدهما كالزي الاسبانيولي وحيث اننا كنا سائرين دائما بموازاة سواحل البحر كلنا المناظر في غاية الجمال ثم وصلنا في منتصف الساعة التاسعة ليلا إلى (شيمونوزيكي) وتوجهنا إلى الفندق التابع لمصلحة السكة الحديدية وهو قريب من المحطة ولذلك مشينا حتّى وصلنا إليه فوجدناه في غاية النظافة وسقف حجراته وغرفة مرتفعة ارتفاعا يشبه ارتفاع سقف المباني المصرية وكل حجرة فيها جميع ما يلزم الانسان كسائر الفنادق اليابانية .

ولما أصبح الصبح خرجنا للتفرج على هذه البلدة ورؤية المرسى فوجدت ألوفا من المراكب الشراعية ووجدت امام هذه البلدة بلدة أخرى تسمى (موجي)[184] وهي مرسى للسفن أيضا وبها فابريقات[185] كثيرة ومنظرها في النهار ليس بشيء يذكر ولكن في الليل لما تضاء مصابيح البلدين وتنعكس أشعة هذه المصابيح في البحر يظهر لنا منظر جميل . وحيث أننا لم نر شيئا يستحق البقاء لرؤيته قد عزمنا على السفر بعد ما كنا عزمنا على الإقامة بها يومين ، وذلك لأن البلاد التي نريد السير إليها الآن ليست في مدينة البلاد السابقة ، وربما حصل ما يستوجب التأخير ولكن يكون قد سبق العزم . وشيمونوزيكي هي البغاز الموصل إلى فوازان[186] التي هي الميناء البحرية لكوريا التي صممنا على زيارتها .

وفي هذه الليلة كان بالفندق وليمة فاخرة لأجل (قومندان)[187] البوليس لكونه قد ترقى إلى وظيفة أخرى أرقى من وظيفته ، وكان بها نحو الستين من مستخدمي الحكومة وأعيان البلد . ومن أحسن ما وجدته فيها أنه كان لما يحصل التنافس عادة في محال الجلوس ، رأيتهم جعلوا قرعة بين الموجودين ما عدا الرئيس والمحافظ ، فكل من أخذ ورقة من أوراق الاقتراع يرى نمرة جلوسه فيها فيأخذ كرسيه على حسبها .

وفي الصباح قد توجهنا لرؤية نهر هناك خارج البلدة ، وذلك النهر مشهور بسرعة تياره .

---

(184) موجي-كو Moji-ku

(185) فابريقات ، فاوريقات أو فابريكات Fabrics : معامل ، مشاغل .

(186) ميناء بوسان Pusan : على الساحل الجنوبي الشرقي من كوريا .

(187) من الفرنسية Commandant : قائد في الجيش أو البوليس .

وقد أخبرنا أن البلاد التي نريد زيارتها بمنشوريا وكوريا شديدة الحرارة ، فلم يثن ذلك عزمنا على الزيارة . وفي منتصف الساعة السابعة بعد الظهر قد توجهنا إلى الرصيف ووجدنا البحر تتلاطم أمواجه ، فركبنا زورقا صغيرا ليوصلنا إلى الباخرة داخل البحر لعدم استطاعتها أن تلقى مراسيها بالساحل لعظم حجمها . وكان بهذا الزورق كثير من الأطفال والنساء ، ولم يكونوا في نظافة تامة ، فظننت أن هؤلاء كلهم سيركبون معنا . ولما دخلنا الباخرة وجدنا أن أحسن حجرة فيها محجوزة لأحد أكابر مستخدمي الحكومة ، وكانوا أعطونا أولا محلا صغيرا . وبعد ما وضعت فيه أمتعتنا قد أخرجوها ثانية ووضوعها في تلك الحجرة الكبيرة التي كانت محجوزة لذلك الرجل العظيم ، ثم جعلوه في محلنا ولم أعرف السبب في ذلك . ثم صعدت على سطح (الوابور) فلم أجد كثيرا من الذين كانوا معنا وقت التعدية ، فعلمت أنهم كانوا يودعون بعض المسافرين ثم رجعوا إلى حال سبيلهم .

ومن أحسن ما رأيت أني لما نظرت إلى البحر وجدت به كثيرا من السمك المعروف بالسمك الكهربائي الذي يضيء في جوف البحر ، ثم سارت الباخرة في منتصف الساعة العاشرة ليلا ، وصار البحر بفضل الله هادئا بخلاف ما رأيناه عند نزولنا ، فحمدنا الله تعالى على ذلك ، وقضينا ليلتنا هذه براحة عامة وصحة تامة . ولما استيقظت الساعة السادسة صباحا وجدت العمال مشغولين بغسل الباخرة وتنظيفها كالعادة المتبعة ، فرغبت في جلوسي بالصالون . وكان معنا رجل من اليابان لابس ملابس بحرية تشبه ملابس القبطان (رئيس الباخرة) فظننت أنه هو . ولكننا أخبرنا بعد ذلك أنه مدير عدة مديريات في بلاد كوريا ، وأنه ذاهب إليها . وفي الساعة السابعة قد صرنا نرى بوغاز فوزان ، ولكننا لم نرها لأنها موضوعة خلف صخر جبلي . ثم مررنا على جملة أكمات وصخور بها قلاع وحصون قديمة ، ولما رأينا أننا قد قربنا من البلدة أسرعنا لتناول الفطور لأجل التأهب للخروج إليها .

في كوريا

ثم وصلنا إلى مرسى فوازن ، وهي عاصمة كبيرة منقسمة إلى قسمين : قسم يسمى بالبلدة القديمة ، وهذا القسم محاط بسور عظيم ومنظره جميل إلى (المينا) ، وقسم يسمى بالبلد الجديد أو الياباني ، ولما وصلنا إليه وجدنا اليابانيين يشتغلون بهمة ونشاط في بناء رصيف عظيم ومحطة كبيرة . ورأينا منظر البلدة حسنا ، إلا أنه

لا يساوي مناظر البلاد اليابانية بالنسبة لقلة الأشجار الكبيرة فيها وخلوها من المزارع التي توجد هناك . وبمجرد وصول الوابور إلى المحطة ، رأينا كثيرا من أهالي كوريا فوجدناهم في غاية من القوة وبسطة الجسم ، ويظهر عليهم من شكلهم أنهم من أصل طيب ، غير أن حالة الفقر مؤثرة عليهم ظاهرة على وجوههم . ولما نزلنا وجدنا أطفالا صغارا ذكورا وأناثا حفاة الأقدام مكشوفي الرأس مضفوري الشعر ، وعلى ظهورهم محامل من الخشب لحمل الأشياء . وحيث أن هؤلاء الفقراء ممنوعو الدخول للقرب من القطار وأن جميع الحمالين من اليابانيين لأنهم أصحاب السيادة على كوريا ، ولذلك يمنعون هؤلاء الفقراء بحجة أنهم ليسوا أصحاب أمانة . وحيث أن إدارة السكة الحديدية والبواخر البحرية كلها يابانية ، فهم لا يضمنون ولا ينفعون إلا أبناء جنسهم . ولذلك قد أعطينا ما معنا من الأمتعة للحمالين اليابانيين ، حيث أنهم هم الأمناء على زعمهم .

ووقت وقوفنا في المحطة لانتظار الوابور قد تعرفنا برجل لطيف متعلم من اليابانيين يحسن اللغة الفرنسية ويتكلم بها بغاية الدقة ، وأخبرنا أنه كان موجودا بحرب اليابان للروس مستشارا شرعيا ، وأنه كان قد سافر إلى فرنسا وتعلم بها وتعرف في هذه المدة ببعض المصريين الذين كانوا بها . ثم أخبرنا عن كثير من أحوال الحرب اليابانية الروسية وعما حصل فيها من الفظائع وكثرة المذابح ، وأعطانا عدة معلومات عن كوريا وأخبرنا أنهم كانوا في قديم الزمان أساتذة اليابانيين ومعلميهم ، ولكنهم بعد ذلك قد مالوا إلى الراحة والكسل وتركوا الجد في العمل حتّى وصلوا إلى حالة سيئة وفقر مدقع ، وانحلت عزائمهم وخارت قواهم حتّى عجزوا عن الزراعة وعمل السكك والطرق المسهلة لتجارتهم ومنفعة بلادهم ، ورماهم بالكذب الكثير والقول من غير عمل . ولما وقع نظرنا على أول كفر من كفورهم رأيناهم في غاية من الفاقة ، ودورهم مبينة بالطين المجعول بعضه فوق بعض مثل دور فقراء الكفور والقرى المصرية الصغيرة ، وأولادهم حفاة عراة .

وحيث أن ملابسهم من القماش الأبيض ، وهو لا يتحمل الأوساخ ، بل تسرع إليه بسرعة فتراها في غاية من القذارة . وأخبرنا أنه بداخل دورهم تنانير يحمونها وينامون عليها كالعادة المتبعة في الشتاء عند فلاحي الوجه البحري بالقطر المصري . وكان هذا الرجل يذكر هذه الأشياء بالسخرية وعدم الاستحسان . ومن جملة ما أخبرني به أنه من ضمن عاداتهم أنهم يدفنون موتاهم مدة سنتين تحت قش وأوراق

أشجار يابسة ، ثم بعد مضي هذه المدة يدفنونهم في الأرض تحت قبة من الطين . وأن أولادهم يموت منهم نحو سبعين في المائة لكونهم معرضين للعوارض الجوية ، متروكين على الحالة الفطرية كأنهم أبناء حيوانات عجم . ولذلك ترى الباقين منهم في غاية القوة لكونهم قدروا على تحمل جميع المشقات ، وقاوموا كثيرا من الصعوبات . وبعد ساعة ونصف وصلنا إلى الجهة التي نريد النزول فيها . ثم أخبرني أنه ذاهب إلى البوغاز الذي كان قد اختبأ فيه من الأميرال طوجو[188] بأسطوله ، وأن هذا البوغاز يوجد فيه والحالة هذه نحو 6000 (آلاف)[189] من اليابانيين متوطنين به .

ولما رأيت مزارعهم وجدتها يظهر عليها عدم الخدمة والإهمال ، ووجدت لون أحجار جبالها وأرضها أحمر . ويستدل على ذلك أنه لابد وأن يكون بها كثير من السنوبر[190] . وفي جهات أخرى كانت الصخور ترى في غاية الزرقة أو السواد لسواد أحجارها ، وهذه الأحجار هي التي تؤخذ منها السبورات .

وبقرب هذه الجهات شمالا توجد معادن ذهبية وفضية ، وبها كثير من جمعيات أوروبا لأجل استخراجها . وكان رئيس هذه الجمعيات سابقا موسيو هانت الأميركاني الذي كان قد أعطى من حكومة السودان أراضي كثيرة بشرط أنهم يزرعون القطن وغيره من النباتات المصرية وغيرها ويعوِّدون السوادنيين على العمل ويعرِّفونهم طرق الزراعة ، ولكنه وجد أن هذه الأراضي تحتاج إلى تعب شديد ومال كثير فتركها .

ثم وصلنا بعد مدة إلى بلد تسمى تيكو[191] ، وهي أيضا محاطة بسور عظيم مبني من الحجر ارتفاعه ستة أمتار وفيها من السكان نحو 45.000 نفس من أهلها ونحو 1000 من اليابانيين القاطنين بها ، وهي أكبر بلدة بجنوب كوريا . ولكنني كرهت المناظر لكونها ليست مختلفة بل يشبه بعضها بعضا ، ولعدم وجود الأشجار الكبيرة والأنهر الكثيرة التي تشرح الخاطر ويقربها الناظر . وغاية ما رأيته هناك من الأشياء

---

(188) Heihachiro Togo

(189) كلمة زائدة .

(190) الصنوبر .

(191) مدينة تاغو Tagu

المشابهة لما في مصر أنهم ينطلون[192] الماء بالشادوف[193] . وعلى كل عشرة أميال يوجد بيت صغير بجوار السكة الحديدية ، فيه خفر من العساكر اليابانية ، وتوجد عساكرهم في جميع المحطات متسلحين كما وجدت عساكر المسكوف في سبيريا ومنشوريا .

والعساكر الذين هم في هذه الحال ، أعدت لهم مقيمون فيها بأولادهم وعائلاتهم وعندهم (تلفون) موصل من كل نقطة إلى الأخرى . ولما كنا باليابان ، كنا إذا رأينا أخشابا جميلة ذات رائحة طيبة أو أخشابا عمارية كبيرة ، يخبروننا أنها من كوريا . ولكننا لما وجدنا بها ، لم نجد فيها شيئا من ذلك في جهة الجنوب التي كنا بها . ربما كانت هذه الأشياء في الجهات الأخرى التي لم نرحل إليها ولم نرها .

ثم مررنا على بلدة تسمى (سيكوان)[194] وهي بلدة مشهورة بالواقعة الحربية التي حصلت بين اليابان والصين في الحرب الأخيرة ، وفيها نزل المدير الياباني الذي كان راكبا معنا ، ووجدنا في انتظاره ما يزيد عن الثلاثين من اليابانيين وبعض عظماء كوريا . وإن اليابانيين ، بالنسبة إلى أهل كوريا ، أجسامهم نحيفة وقاماتهم قصيرة . وقد قدمنا أن الكوريين في غاية من الضخامة وبسطة الجسم ، ثم مررنا بعد ذلك على بلدة أخرى يقال لها (سويجن)[195] فوجدناها كغيرها من هذه البلاد محاطة بسور عظيم ، وهي مشهورة بحسن منظرها وحبها بالنسبة لما اشتملت عليه من الغابات والمياه والأنهار .

في عاصمة كوريا

وأخيرا وصلنا إلى (سيول)[196] عاصمة كوريا . وكان وصولنا إليها ليلا ، فلم نتمكن من رؤية شيء فيها . وكان الترجمان في انتظارنا فسلمنا له الأمتعة ووصلنا إلى الفندق حيث أننا قد رأيناه قريبا من المحطة . ولما وصلنا إليه وجدنا صاحبه رجلا

(192) يستخرجون الماء .

(193) الشادوف (جمعه شواديف) : آلة قديمة تستخدم عتلة التوازن لاستخراج الماء .

(194) لم أعثر على هذا الاسم ، لعلها مدينة Chonan الواقعة على الخط الحديدي .

(195) هناك بلدة سوجي Suji وهي واقعة على الخط الحديدي المتجه إلى سيول .

(196) Seoul

فرنسيا . ولما أرانا محاله صرنا فرحين مسرورين حيث أننا قد استرحنا من العناء بعد سفرنا عشرين ساعة ، نصفها في البحر ونصفها في البر .

ولما أصبح الصباح وصى الترجمان على عربات (ركشه) يجرها الرجال ، وتفسحنا بها في داخل البلدة فوجدنا بيوتها قديمة وكلها دور واحد ، وكل بيوت الأعيان بها محاطة بسور وشوارعها واسعة ، ولكنها غير منتظمة . وعساكر البوليس من الأهالي ، وأما الضباط فهم يابانيون ، ورائحة الشوارع كريهة من رائحة المنازل المجاورة لها ، وسكانها 20,000 نفس من أهلها سوى 6000 (آلاف)[197] من اليابانيين ، وهي محاطة بسور عظيم ارتفاعه 8 أمتار وله 8 أبواب منظرها في غاية الجمال ، يدخل فيها الداخل كأنه داخل من سرداب تحت الجبل ، وفوقه منازل . وأكبر شارع فيها يسمى شورو ، وفي وسط البلد بآخر هذا الشارع هيكل عظيم مصنوع من المرمر على طريقة الصناعة الصينية للمعابد ، وله اثنا عشر دورا . ويقال إن هذا الهيكل قد أهداه أحد ملوك الصين إلى كوريا من نحو 700 سنة . ووجدنا أن أغلب الأهالي يجلسون أمام منازلهم ويشربون الدخان في أعواد أو يشربون أشياء أخرى من الخمر . ووجدنا الدكاكين قليلة ، والذي يظهر أنهم ليس عندهم صنائع .

وبعد الظهر قد رغبنا الترجمان في زيارة قبر أم الملك الحالي ، فركبنا العربات الركشة الساعة الثانية بعد الظهر وجلنا في أنحاء البلد ، وفي أثناء مرورنا وجدنا كثيرا من الأهالي سكارى حتّى شيوخهم . ووجدنا جملة من الثيران مربوطا بعضها بجانب بعض ومحملة الأخشاب التي يراد بيعها ، ويبقونها هكذا بحمولها ثم ينتظرون من يشتري منهم شيئا مما عليها . ثم خرجنا من البلد ودخلنا في غابات غير منتظمة ، وبعد ساعة من سيرنا قد وصلنا أولا إلى قبر أم الملك فوجدناه في غاية البساطة ، وهو موضوع على أكمة مرتفعة ويتوصل إليه بدرجات من حجر الجرانيت . ثم بعد انتهاء هذه الدرجات توجد مقعدتان إحداهما يمينا والأخرى شمالا ، وبينهما حجر جسيم مكعبه متران ، وبعد ذلك يرى القبر كسائر قبورهم عبارة عن قبة من الطين عليها خضرة طبيعية . وعند رجوعنا قد مررنا على دكان لأحد الأميركان يشتغل النحاس الأصفر ، ويصنع منه ما يشاء من أباريق وشمعدان وغير ذلك من الأواني لأجل إرسالها إلى أميركا . ثم ذهبنا بعد ذلك إلى سوقهم فوجدناه ضيقا ، وليس عندهم

---

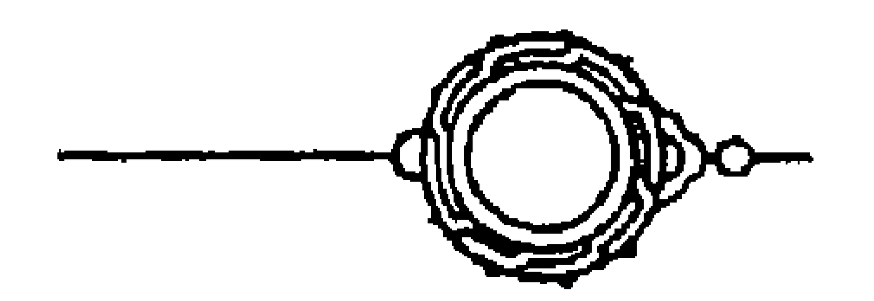
(197) الكلمة حشو زائد لأن الرقم يكفي أو ينبغي حذف الأصفار .

شيء سوى النظارات والسبح وأعواد الدخان ، وليس فيها شيء جيد . ثم رأينا بيوت القناصل والأكابر ، فلم نجد فيها ما يستحق الذكر . وأرونا باب السراي التي قتل اليابانيون فيها أم الملك الحالي لكونها كانت تكرهم ، وحبسوا أباه زوجها وأصبح ابنه الملك الحالي هو الملك المطلق التصرف . وكانت العادة عندهم أن يتولى ابن الملك عند هرم والده ويعمل الأشياء البسيطة من نفسه . فإذا عرض أمر مهم رجع فيه إلى الملك الأكبر الشيخ الهرم لأنه حنكته التجارب ، فهو أعرف بالأمور من الصغير . ومع كون الملك الحالي يظهر الميل لليابانيين فإنه حر في تصرفاته ، إلا أن سراياه محفوفة بالعساكر اليابانية . وقد أخبرونا أن الكوريين يكرهون اليابانيين ويقتلون كل من قدروا على قتله منهم .

ثم نظرنا في الطريق فرأينا جملة من الأهالي بخيولهم يحملون لوازم الجيش الياباني فأخبرنا الترجمان أنهم لا بد أن يكونوا قد قتلوا أحدا من اليابانيين ، لأن عادة اليابانيين أنهم متى قتل الكوريون منهم أحدا يشددون عليهم ويسخرونهم في حمل لوازم الجيش بلا أجرة . وكل من يتأخر منهم عن ذلك يضرب ضربا شديدا بالعصى والكرابيج حتَّى يضطر إلى الحمل مرغما مجبورا . ورأينا غالب نسائهم يتقنعن بقناع كسائر نساء الأرياف في القرى المصرية والعادة العربية القديمة ، ويلبسن السراويل ، وفي أرجلهن أخفاف باللون الأصفر أو الأحمر ، وهن في غاية الحشمة والكمال .

وقد تحادثنا مع صاحب الفندق وأظهرنا له استغرابنا مما رأيناه من قذارة الشوارع والروائح الكريهة التي لا توجد في جهة أخرى ، فأخبرني أن هؤلاء الناس في غاية من الكسل والقذارة ، حتَّى إنك تجد خارج منزل كل واحد مرحاضا بمجرور أمام بيته ، وتبقى هذه القاذورات حتَّى يجيء المطر فيقذفها إلى الخارج ، ولولا ذلك لبقيت طول الدهر .

وقد مر علينا ونحن بالفندق خِدْر من خشب بهيئة كشك صغير محمول بأربعة رجال ومغطى بجلد نمر ، فسألنا عنه فأبرنا صاحب الفندق أن نساء الأكابر هنا لا يخرجن من جهة إلى أخرى إلا بهذه الحالة لعدم العربات في هذه الجهات عند الأهالي .



وفي صباح اليوم الثاني قد تأهبنا للسفر إلى (مكدن)[198] . ولما أخبرنا صاحب الفندق بذلك عرفنا أن هذه السكة ليس فيها شيء من الماء ولا من الزاد ، واستحسن أن نأخذ شيئا مما عنده من المأكول بقدر مؤنة يومين ، فرأينا أنه لا مانع من ذلك . وأخذنا ما هو لازم ثم توجهنا إلى المحطة ، وركبنا القطار إلى (أنطونج)[199] . وقد كنا أخبرنا أن هذه السكة في غاية من الخوف ، لكونها مملوءة من الوحوش الضارية والأسود الكاسرة . ولكنه ، بحمد الله تعالى ووقايته ، لم نجد شيئا مما أخبرونا به وخوفونا منه . وغاية الأمر أننا كنا نمر على غابات صغيرة فيها كثير من الطيور البرية . وكانت السكة في غاية الأمن ، والزراعة بحالة أحسن مما رأينا قبل ذلك . ولم نزل سائرين في أمان واطمئنان حتّى وصلنا بعد 14 ساعة إلى (نيوريجي)[200] وهي آخر حدود كوريا ، وهي بلدة موضوعة على نهر (لبالو)[201] المشهور في الحروب التي حصلت بجهته . وكان وصولنا إليها الساعة الحادية عشرة ليلا . وحيث أن هذه البلدة ليس فيها فنادق ، كنا ملزمين بالضرورة أن نعدي النهر حتّى نبيت في (أنطنيخ)[202] فركبنا في مركب قديمة وفيها اثنان من الكوريين يجذفان . وكنا عشرين ليس فيهم أحد من السواح سوانا ، والجميع من أهالي الصين وكوريا الذين لا يعرفون أي لغة أجنبية فلم يمكننا أن نتكلم معهم ، كما أنهم لم يمكنهم أن يتكلموا معنا . وبقي هؤلاء البحارون يجذفون نحو ثلاثة أرباع ساعة بغاية الجهد حتّى وصلنا إلى الشاطئ الآخر ورأينا به سفنا تجارية كبيرة ، حيث أن هذا النهر عميق جدا ، والذي وصلنا في هذه المسافة هو مسابقتنا لسفينة أخرى كان يجذف فيها أربعة ، ولولا ذلك لما وصلنا في أقل من ساعة . ولكثرة ازدحام الشاطئ بالسفن ، كان مرسانا إلى جانب سفن كثيرة ،

---

(198) موكدن Mukden ، اسمها اليوم شِنيانغ Shenyang .

(199) Antung مدينة صينية على نهر يالو ، كما وردت في وبستر ، لكن اسمها دانغدونغ Dangdong في الإنكارتا .

(200) لم أعثر على هذا الاسم ، هناك مدينة شِنيجو Sinuiju الكورية على نهر يالو ، مقابل دانغدونغ .

(201) نهر يالو Yalu على الحدود الكورية – الصينية .

(202) هناك بلدة : Tonghyuan-pu على الخط في منشوريا ؛ فلعلها المقصودة هنا .

ثم صرنا نتخطاها لأجل الوصول إلى البر . وبينما كان عزيزي علي بك رضا يتخطى من سفينة إلى أخرى إذ زلقت رجله فنزل في البحر فحصل لي اندهاش عظيم ورعب كثير مخافة أن يكون قد حصل له شيء من الأذى . ولكن ، بفضل الله تعالى وحسن رعايته وملاحظته لنا بعين عنايته ، لم يصب بأدنى أذى لأنهم نشلوه بسرعة زائدة ومهارة فائقة . ثم سرنا حتّى وصلنا إلى الفندق الياباني . وعند دخولنا أمرنا بأن نخلع نعالنا ، ثم أرونا غرفا فيها كراسي فقط مفروشة بملاآت وأخبرونا أنها هي المعدة للنوم عندهم . ثم إن صاحب الفندق وبناته أسرعوا بإحضار ملابس يابانيية لأجل أن يلبسها عزيزنا علي بك حتّى تجف ملابسه . وكان ذلك في منتصف الساعة واحدة[203] بعد نصف الليل . ثم أخبرنا صاحب الفندق أنه يلزمنا أن نكون متسقظين ومستعدين في منتصف الساعة السادسة صباحا .

وفي الصباح قد حضر صاحب الفندق واعتذر لنا لكونه أعطى كل المحال المعدة للنوم والسرر الموجودة بالفندق لوكيل جمهورية أمريكا . ثم تناولنا الفطور ، وبعد ذلك خرجنا من الفندق ومشينا حتّى وصلنا إلى المحطة . وهذه البلدة هي ابتداء منشوريا الجنوبية . ولما وصلنا إلى المحطة وجدنا بها رئيس السكة الحديدية التي توصلنا إلى مكدن بأمر ينتظر وكيل الجمهورية الأمريكية ، وكان قد عهد إليه أيضا أن يقوم بخدمتنا فأخبرنا أنه قد حجز لنا نصف عربة . ولما حضر القطار وجدته أضيق من جميع القطارات الزراعية عندنا . ولما دخلنا العربة وجدناها مفصولة بستائر مثل الملاءة ، ثم جاء جملة أناس لأجل أن يسلموا على وكيل الجمهورية ، ومن ضمنهم كثير من كبراء الصين قد حضروا بعربة بعجلتين تجرها بغلة ، وقد تكلمنا عليها ، وأمامهم وخلفهم فرسان . وحمدنا الله تعالى ، حيث أننا رأينا ضباطا من اليابانيين مأمورين بوجودهم معنا ، وسررنا بذلك حيث أنهم كانوا قد أخبرونا أن بالطريق لصوصا يوقفون القطار ويسلبون الركاب . وبمرورنا بمنشوريا رأينا أن الزراعة أكثرها من الذرة ، ولكنها أحسن من زراعة الكوريين ، لأن أهل منشوريا لهم همة وعندهم اعتناء كثير بأمر الزراعة ، ويظهر عليهم الثروة لأنه يوجد عندهم مواشٍ كثيرة ، خصوصا البغال الكبيرة والحمير الجيدة العالية . وفيها كثير من الجبال التي تتخللها ينابيع المياه والأشجار الجميلة . وكان القطار يسير بنا في مرتفع من الأرض حتّى إنه في بعض

---

(203) الواحدة .

الأوقات يكون صاعدا إلى أعلى جبل فيسير سيرا بطيئا بحيث أنه لو ما شاء[204] الراجل لسابقه[205] . والسبب في ذلك أن هذه السكة كان أصل وضعها لأجل حمل اللوازم الحربية في حربهم الأخيرة للموسكوف ، ولم تكن مجعولة للمسافرين والسواح ، وكان عملها بوقت قصير لضرورة احتياجهم إليها في وقت مخصوص . فخوفا من ضياع ذلك الوقت وكونهم يأخذون زمنا طويلا في قطع الجبال ومرور القطار من النقط التي يلزم أن يمر منها ، جعلوه يمر من أعالي تلك الجبال مؤقتا لانتهاز الفرصة . وجميع الأزهار الموجودة على تلك الجبال رائحتها ذكية وألوانها جميلة ، ولذلك كان يوجد عليها كثير من أجناس الفراش المختلف الأشكال والألوان ، وكان منظرها جميلا خصوصا الأزرق منها .

ووقف القطار في محطة صغيرة نحو ساعة ، لكونه كان أمامه قطار آخر يحمل بضائع خرج عن السكة الحديدية فتعطل السير ، فاسترحنا وأكلنا شيئا مما كنا أخذناه من الفندق . ثم سار القطار ، ولما كان يأخذ في الصعود إلى الأماكن المرتفعة ، كنا نرى مناظر جميلة تشبه مناظر بلاد سويسرا . ثم وصلنا في منتصف الساعة السابعة قبيل المغروب إلى بلدة تسمى (ساهوكو) ، فنزلنا فيها ووجدنا بها فندقا صغيرا يابانيا . وبعد الأكل مما كنا قد أحضرناه معنا ، وكان ليس بجيد ، قد فرشوا لنا مراتب على حصر وأعطوا كل واحد غطاء . ولما أصبح الصباح أسرعنا إلى المحطة ، وكانت مناظر السكة كمناظر الأمس ، إلا أننا سرنا إلى طريق أعلى حتّى صار القطار يتدرج في الارتفاع إلى 1500 متر .

في عاصمة منشوريا

وبعد الظهر بارحنا الجبال ودخلنا في أودية أراضيها مزدانة بالزراعة وبها كفور صغيرة . وبعد مدة قد رأينا سور المدينة ، ثم مررنا على محطة تسمى (فوشن)[206] فيها معادن فحمية ، وبعد عشر دقائق منها قد وصلنا إلى محطة (مكدن) فرأينا فيها كثيرا من اليابانيين والصينيين والأمريكانيين في انتظار وكيل الجمهورية ، ووجدنا

---

(204) لعلها (ماشاه) بالهاء لا بالهمزة .

(205) لسبقه .

(206) ushun مدينة إلى الشرق من العاصمة شنيانغ .

بواب الفندق وبعض خدم معه فسلمناهم ما كان معنا من الأشياء . وبعد خروجنا من المحطة قد رأينا ثيرا من العربات ذوات العجلتين تجر كل واحدة منها ببغل ، فركبنا في عربة تابعة للفندق يجرها حصان . وهناك قد رأينا عربتين من عربات الموسكوف ، يظهر أنهما متروكتان من مدة ما كانوا في موكدن . ورأينا عساكر البوليس هنالك وفي أيديهم عصي سميكة مثل الهراوة وملابسهم عسكرية إلا أنهم يرسلون شعورهم على ظهورهم مجدولة . والسكة الموصلة من المحطة إلى البلد واسعة ، وهي في غاية النظافة ، وفيها ترام كهربائي . ورأينا ثكنات عساكر يابانية ، ورأينا أن هذه البلدة أغلب سكانها من اليابانيين . وبعد ذلك مررنا من باب البلد الكبير ودخلنا إلى البلد الأصلي ، فوجدنا دكاكين كثيرة ، ويظهر أنهم مشغولون بالصنائع . ولم نزل كذلك حتّى وصلنا إلى الفندق فوجدناه بيتا صغيرا ، وكنا ظننا أننا نجد فندقا كبيرا مستوفيا ، حيث أن هذه البلدة هي العاصمة ورأينا اليابانيين يشتغلون بوضع أنابيب المياه والسلوك الكهربائية والتلفون في هذه البلدة .

ولما كنا في أقوام كلهم بعيد عن المدينة كنا غير مطمئنين وباعتهم كلهم يعلنون بأجراس صغيرة أو يصفرون بصفارة .

وفي الصباح قد أرسلنا عزيزنا علي بك بورقة زيارة منا إلى قنصل إنجلترا لأجل أن نحصل على تصريح بزيارة المقابر والآثار الملوكية ، فلما أخبرناه بذلك وأعطيت له الورقة جاء ورد الزيارة ، فرأيناه رجلا كبير السن في غاية من الكمال والأدب ، وله في هذه الجهة 11 سنة . وفي أسرع وقت قد حصل على التصريح وأرسله لنا ، فاستصحبنا بواب الفندق بصفة ترجمان لكونه يعرف بعض اللغة الألمانية ، وتوجهنا لزيارة المقابر والآثار الملوكية الشهيرة . ثم وصلنا بعد ثلاثة أرباع ساعة إلى بستان كبير وروض طبيعي محاط (بدرابزين) . والمسافة التي قطعناها نحو ثمانية أميال ، وفي آخر السير قد وصلنا إلى حائط كبير وبه باب كبير أيضا فخرج منه بعض الحرس وطلبوا منا أن نريهم الإذن ؛ ولما تحققوا منه أذنوا لنا بالدخول فدخلنا ووجدنا طريقا مرصوفة بالبلاط ، وعلى جوانبها أشجار جسيمة من الصنوبر . ومن هذه الطريق قد وصلنا إلى باب آخر كبير ، ولما دخلنا منه إلى بساتين رأينا طريقين متقاطعتين وبجوانبهما صور أغلب الحيوانات ذوات الأربع من الحجر ، وكل جنس أمامه ما يماثله . ثم وصلنا إلى معبد له عدة طبقات بعضها فوق بعض ، وأخبرنا أن هذا المعبد هو محل استراحة الملك ومقابلته . ورأينا في وسط الحجرة كرسيا كبيرا معدا لجلوس الملك ، ثم رأينا

معبدا آخر مجعولا لحفظ الوصايا فيه ، هو عبارة عن قبة من الأتربة المتراكمة كما في كوريا . وكانت المناظر ذات بهجة تسر منها النفوس وتنشرح الصدور . وحيث أن هذا المحل فيه كثير من الأشجار والأزهار والمناظر الجميلة ، فإن السواح كانوا يهرعون إليه في كل يوم أحد ويقضون به جميع اليوم . وحيث أننا قد أخبرنا أن هذا المعبد هو أحسن من جميع المعابد الأخرى التي تبعد عنه بنحو 15 ميلا ، وأننا لم نكن في اطمئنان تام ، قد اكتفينا بزيارته واستغنينا به عن غيره . ولم نكلف نفسنا تحمل مشاق السير لزيارة غيره بدون جدوى ، حيث أنه أرفع منها شأنا وأحسن بنيانا

وفي صباح اليوم الثاني من إقامتنا بهذه العاصمة ، قد توجهنا لرؤية سراي الملك ، وهي على نحو عشر دقائق من النزل . ولما وصلنا إلى بابها ، وجدنا 50 زوجا من النشارين ينشرون أخشابا عمارية كبيرة للسراي ؛ والظاهر أنه كان بها بعض عمارات . وقد قابلنا على بابها رجل من العساكر ، وطلب منا أن نريه ورقة الإذن بالدخول فأريناها له ، فأذن بالدخول فدخلنا من الباب ، فوجدنا من داخله حجرة لمستخدمي السراي ، ووجدنا الكاتب الخصوصي لوالي منشوريا واسمه (هوسى) ، ورأيناه يتكلم باللغة الانجليزية وقال لنا إنه ، لأجل توصية القنصل ، يطلعنا على جميع الذخائر الملوكية الموجودة هنا . ثم أخذ يفتح لنا أبوابا كانت مختومة بالجمع[207] الأحمر ، فأطلعنا على أشياء كثيرة . وأول ما أطلعنا عليه قبعة من الذهب والفضة ، وهذه القبعة كان يلبسها الملك وقت الصيد ، وهي مكللة بالأحجار النفيسة . ثم أرونا زهريات ومحابر من حجر اليشم ، وأرونا كثيرا من أسلحة الملوك القدماء وسيوفهم وملابسهم . ورأينا جملة من عقود اللؤلؤ والمرجان ، وعلمت أن المرجان كان محبوبا عندهم ومرغوبا لهم ، هو وحجر أزرق هناك يسمى كركهان[208] .

ثم توجهنا إلى حجرة أخرى فوجدنا بها كثيرا من الأواني الصينية على اختلاف أشكالها وألوانها ، وأغلبها ملون باللون الأبيض والأصفر والأزرق وكلها أوان عتيقة قد مضى عليها مدة مديدة من الزمان ، ودخل صناعها في خبر كان ، وأحدثها صنعا له 250 سنة . ومما رأيناه من المشابهة بين صنائعهم وبين الصنائع الأعجمية ، يمكننا أن نحكم أنه لا بد أن يكون قد وجد بينهما ارتباط فيما تقدم من الأزمان وأن هذه

---

(207) الشمع .

(208) لعله (كهرمان) .

الأواني جمعت من الأشكال الغريبة والنقوش العجيبة ما لا يدخل تحت حصر ويعجب ذوق كل إنسان . ومن أحسن ما رأيناه آنيتان ملونتان بلون واحد يظهر فيه ألوان كثيرة ، ولهما من المدة نحو 700 سنة ، وهذه توجد الآن في أوروبا ويزعمون أنها من اختراعاتهم الحديثة . ولما رأينا هذه التحف النفيسة والمصنوعات العجيبة لم نندم على عدم شراء شيء مما رأيناه في اليابان لأنه لا يعد شيئا بالنسبة لما رأيناه في هذا المحل .

وبعد ذلك قد دخلنا للتفرج على السراي فوجدناها مدهشة الأبصار ، ووجدنا فيها قاعة تسمى قاعة العرش وفي وسطها كرسي مصنوع من الخشب الحفر وبه نقوش ذهبية بارزة في غاية البهجة والجمال ، وهو موضوع على مدرج مرتفع ارتفاعه درجتان ، وعليه مظلة كبيرة . وعلى شمال هذه القاعة أماكن متفرقة مجعولة لسراري[209] الملك ، وعلى اليمين مساكن كلها تابعة لزوجة الملك وحواشيها ، ولها برج في غاية الجمال مطل على البلد . وعلى السراي رأينا علم الأسرة الملوكية[210] منشورا وله من المدة 250 سنة ، وهو أول علم استعملته الأسرة الملوكية الحالية . ومن معتقداتهم تعظيمه وإجلاله وتقديسه حتّى بلغ من احترامهم له أنهم لا يمسونه ويعتقدون أنه مقدس لا يمس . والملك لا يحضر لهذه السراي إلا أذل حدثت حوادث مهمة في عاصمة باكين وخاف على نفسه الهلاك . وحيث أن الأسرة الحاكمة أصلها من منشوريا فيحصل للملك اطمئنان عظيم إذا وجد فيها .

وقد حصل لنا سرور كثير من زيارة هذه السراي ومما رأيناه بها من الأشياء الكثيرة التي رأيناها بها تستحق التفرج عليها والسعي من بعيد الأقطار إليها . وعند خروجنا قد استفهمنا من الكاتب عما يلزم إعطاؤه للخدم من النقود ، فأكثر الرجاء أن لا أعطيهم كثيرا لأنهم يسكرون بما يأخذون . وفهمت من كلامه أن الانسان يعطيهم ما شاء فأعطيتهم ما قسم الله لهم وكلفته أن يبلغ سلامي إلى الوالي ، ثم انصرف وانصرفنا .

وبعد الظهر قبل السفر قد توجهنا إلى القنصل لأجل إبداء شكرنا له بالنسبة لاهتمامه بشأننا وعنايته بنا .

---

(209) السراري (جمع سرية بتشديد الراء) : محظيات الملك وجواريه .

(210) (الملكية) لأن النسبة للمفرد لا للجمع .

ولما جاءت الساعة السابعة ، توجهنا إلى المحطة لأجل ركوب القطار الذي يوصلنا إلى خربين[211] فوجدنا بها رجلا يسمى ولسن ، وهو رجل في غاية من الظرافة واللطافة أصل والده إنجليزي وأمه هندية ، وقد جاء لودعانا من قبل القنصل . وهو وكيل لجملة شركات سكك حديدية ، وقدم لنا ناظر المحطة وأخبرنا أنهم حجزوا لنا ديوانا خاصا بنا . وأخذ يخبرنا بالتقدم السريع والترقي الهائل الحديث الذي حصل في منشوريا وكوريا على يد اليابان ، وأنهم أصبحوا يسابقون الأوروبيين في التجارة والصناعة وغير ذلك . وأخبرني أن له مدة 14 سنة في الصين وأنه يعرف أن يتكلم بلغتهم ويكتب 2000 حرف من حروفها . ولكن الذي وصل إليه من الكتابة لا يؤهله أن يكتب جوابا رسميا ، لأن الذي يلزم لمن يريد كتابة جواب رسمي هو 5000 حرف .

ولما أخبرته أني كنت أريد التعرف ببعض المسلمين ، وأن القنصل لم يرشدنا إلى ذلك ، أجابني بأنه متأسف وقال لو عرفت ذلك سابقا لأمكنني أن أريكم كثيرا منهم . ثم أخبرني أن في مدينة مكدن جامعا وأكثر من 10,000 آلاف مسلم صيني وأن أغنى تجارها من المسلمين . فأخبرته أني كنت أود أن أعرف أنهم يقرؤون القرآن ويقيمون الصلاة بأي لسان ، فوعدني أنه يخبرني عن ذلك كله بجواب يرسله إلى بخربين . وفي أثناء هذه المحادثة قد جاء القطار ، فركبنا به ووجدنا عرباته من أعظم العربات الموجودة في سائر الدنيا فسافرنا ليلا وكانت المسافة 6 ساعات لغاية محطة (شانشون)[212] وهي نهاية الخط الياباني ومبدأ الخط الروسي بعد الحرب الاخيرة . ووجدنا أن البلاد في غاية الالتفات إلى الزراعة ، وأنهم يقومون إليها وقت الفجر بكل همة ونشاط . ولذلك كانت زراعتهم في غاية من الجودة وأرضهم في غاية من القوة ، وأن المأكولات لكثرتها رخيصة وكذلك الطيور واللحوم والأسماك ، بالنسبة لانتظام سككها التي تسهل وصول جميع الأشياء إليها من جهة إلى أخرى بدون بطء ولا مشقة . ووجدنا في القطار بعض المغول فرأيناهم حالقين رؤوسهم ومرسلين لحاهم

(211) خاربين Harbin مر بها الرحالة في طريق الذهاب من قبل .

(212) مدينة Changchun

(213) نشر الرحالة هذا النص في ختام كتابه تحت عنوان (تتمة) ، وقد رأينا أن يكون ملحقا بالرحلة ، عملا بالمنهج الذي نتبعه في سلسلة «ارتياد الآفاق» .

كالعادة العربية والحالة الإسلامية ، وهؤلاء كانوا راجعين من زيارة والي منشوريا . ومن محطة شانشون قد ركبنا قطار السكة الحديدية الموسكوفية ، ولم نزل سائرين حتّى وصلنا إلى خربين سالمين آمنين مطمئنين ، فحمدنا الله على حسن رعايته وجميل عنايته .

تمت الرحلة

ملحق[213]

اليابان وكوريا ومنشوريا وأحوال أهل تلك البلاد

(أما اليابان) فهي إمبراطورية واسعة الأرجاء مكونة من مجموعة جزائر يبلغ عددها نحو 3800 جزيرة[214] وموقعها بالشرق الأقصى ، لاسيما شرق الصين في المحيط الهادي ، ومكونة فيه شكلا هلاليا ومساحتها 420,000 كيلو متر مربع(215) ويحدها شرقا المحيط الهادي ، وغربا بحر اليابان وبوغاز كوريا ، وشمالا بحر أوخوستك وبوغاز البيروز[216] ، وجنوبا المحيط الهادي . وهي بلاد جبلية كثيرة البراكين والزلازل تمتد في شاطئ جزائرها الشرقي سلاسل جبال شامخة متصل بعضها ببعض ، ومخترقة لبعض تلك الجزائر . وفي قمم هذه الجبال كثير من البراكين بعضها ساكن وبعضها متحرك ، ولا تمر سنة من السنين إلا وينفجر فيها بعض البراكين ، فتحصل الزلازل التي ينشأ منها مضار عظيمة وخسائر جسيمة . والسهول فيها ضيقة ونادرة ، وشواطئها كثيرة التعاريج والخلجان ، وأشهر خلجانها خليجا تاجازاكي[217] وكاجوزيما[218] بجزيرة كيوسيو[219] وخليجا أوزاكا[220] وطوكيو بنيفون[221] وخليج هاكودادي[222] بجزيرة

(214) لعل عدد الجزر يزيد عن هذا الرقم ، وربما لم تكن جميع الجزر مأهولة .

(215) هذه المساحة أيام احتلال كوريا وسخالين ، أما المساحة الحقيقية فهي 873,000 كيلو متر مربع .

(216) اسمه اليوم : مضيق التتار strait Tatar

(217) ناجاساكي (ناغاساكي) Nagasaki

(218) كاجوشيما (كاغوشيما) Kagoshima

(219) جزيرة كيوشو Kyushu

(220) أوساكا Osaka ، هكذا يلفظها اليابانيون .

(221) الصحيح : هونشو Honshu وهي أكبر الجزر ، و تشكل الجسم الرئيس للبلاد ، لذلك يطلق بعضهم عليها اسم (اليابان) : نيبون Ni-ppon أو نيهون Ni-hon ، والرحالة يلفظها (نيفون) محرفة .

(222) هاكوداتي Hakodate في جنوب جزيرة هوكّايدو Hokkaido

بيزو[223] وبين كيوسيو وسيكوك[224] ونيفون بحر يسمى البحر المتوسط[225] الياباني . وأنهارها صغيرة وقصيرة بسبب إحاطة المياه من كل جانب ، وتشعب الجبال فيها طولا وعرضا . وأطول أنهارها لا يزيد عن 400 كيلو متر .

وجوها معتدل غير أنه في الجزائر الشمالية ذو برد قارس لأنه يأتي إليها تيار قطبي شديد البرودة ، وهو في الجنوب والشرق كثير الحرارة لأنه يمر بها ريح بحري حار ، يسمى عندهم كروسيو[226] أي الريح الأسود ، والمطر يهطل عندهم كثيرا ويكثر الجليد في الشتاء على شواطئ الجزر المطلة على البحر الياباني ، وأرضها قابلة للزراعة فيزرع فيها زراعة المنطقة الباردة والمعتدلة ، ولذلك كثرت فيها أنواع أشجار الفواكه والزهور والثمر والحبوب والصنوبر والخضروات والتوت (لتربية دود القز) وقصب السكر والشاي والأرز وهو أشهر زراعتها . وتشمل أيضا على غابات كثيرة ومراع طبيعية شهيرة ، وفيها معادن كثيرة فيها مناجم الرصاص والنحاس والحديد والكبريتٌ والفحم الحجري ، ويوجد فيها قليل من الذهب والفضة .

وأما صناعتهم فحدث عنها ولا حرج ، إذ هي المملكة الوحيدة التي تقدمت في الصناعة تقدما أغناها عن المصنوعات الأجنبية ، بل إنها زاحمت دول أوروبا في أسواق الشرق . ومن مصنوعاتهم الأدوات الدقيقة من صمغ اللك[227] وخشب البنبو[228] والخزف الدقيق والورق والأقمشة والمنسوجات القطنية والحريرية بأنواعها ، وسبك المعادن وعمل الأسلحة ، إلى غير ذلك من المصنوعات الكثيرة . وأما التجارة فقد اتسعت عندهم تبعا لتقدم صنائعهم ، حتّى صارت تقدر صادراتها بمبلغ 30 مليون جنيه في السنة ، ووارداتها بمبلغ 28 مليونا . والطرق التجارية داخل هذه البلاد كثيرة وجميلة تحيط بها الأشجار ، والسكك الحديدية منشرة فيها وآخذة في الامتداد ، وعدد سكانها يبلغ 46,500,000 نفس من الجنس الأصفر ، وهم من عناصر مختلفة .

---

(223) جزيرة ييزو Yezo أو Ezo في أقصى الشمال الياباني ، وهي هوكّايدو Hokkaido .

(224) جزيرة شيكوكو Shikoku

(522) Seto-no-uchi ، ويسمونه أيضا (البحر الداخلي) : Seto-nai-kai

(226) كروشيو : Kuro-shio التيار الأسود ، وهو تيار بحري يجلب الدفء من الجنوب .

(227) اللك Lac ، Lakh : صمغ من مادة راتنجية تفرزها بعض الحشرات .

(228) البامبو : Bamboo الخيزران

ويقال إن أصلهم من جزائر ماليزيا أو من الصين ، وأنه لا يمكن أحد إنكار ما وصلوا إليه من التقدم والحضارة وحسن بلادهم وجمال مناظرها الطبيعية ، إلا أنه لا يزال فيهم شيء من الخشونة في معاملة الأجانب الموجودين بينهم ، حتى إن السائح يبقى مدة إقامته عندهم غير منشرح الصدر ، ولا مطمئن الخاطر ، ويحصل له ضجر وتألم من كثرة ما يراه من سكوتهم عنه وعدم نصيحتهم له وإبدائهم له خلاف ما يبطنون . وهذه الحالة قد جاءتهم من كثرة تمسكهم بالوطنية زيادة عما ينبغي ، حتّى ظنوا أن من جملتها عدم النصح للأجنبي ، مهما كانت حالته . وهم قوم يحبون النظافة ، ويتفانون في حب الوطن وجميع عوائدهم وأمورهم تشبه الأمور الإسلامية . والمرأة منقادة للرجل تمام الانقياد كالعادة العربية والسنة الإسلامية ، وهن في غاية المحافظة على أنفسهن بخلاف النساء في أوروبا .

وبهذه البلاد دينان : الشنتوية[229] وهي الديانة الأولى لليابانيين ، وهي مبنية على عبادة أرواح الموتى وقوى الطبيعة ؛ ثم البوذية وبها نفر قليل من المتنصرين الكاتوليك أو البروتستانت الذين أدخلهم في النصرانية المرسلون ، بعد جهادهم المدة المديدة والأعوام العديدة . وقد امتاز اليابانيون بحرية الفكر وذكاء القريحة ، فلو وجدت بعثة إسلامية وذهبت إلى تلك البلاد لوجدت أذنا صاغية وقلوبا واعية وأمكنها أن تدخل كثيرا منهم في الديانة الإسلامية ، لما اشتملت عليه هذه الشريعة الغراء والملة السمحة مما يرشد الإنسان إلى مكارم الأخلاق وجميل الصفات ، حتّى يفوز بخيري الدنيا والآخرة . وهذا ، وإن كان أمرا واجبا قد أمر به الله تعالى في قرآنه جل شأنه ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[230] فإنه قد جرت العادة في علماء الإسلام ، سيما المتأخرين منهم ، أنهم لا يتعبون أنفسهم للانتقال من جهة إلى أخرى لنشر الشريعة الإسلامية وبث التعليمات الدينية ، كسلا منهم وحبا للراحة أو خوفا على أنفسهم أو لقلة ذات يدهم . ولذلك لا يتوهم متوهم أنهم يرحلون إلى هذه البلاد البعيدة ويقضون بها الأعوام العديدة ، كما فعل هؤلاء المرسلون . وغاية ما يتوهم أنه لو قام فريق من متعلمي المسلمين في الهند أو الصين لقربه منهم وسرعة التفاهم بينهم ، لأمكن

---

(229) Shinto

(230) آل عمران : 104

تعليمهم وصارت هذه الأمة العظيمة كلها أو جلها إسلامية . ولا يخفى ما في ذلك من جميل الفوائد التي تعود على المسلمين بالخير العميم والنفع العظيم .

وهذه البلاد مشتملة على كل ما يمكن الاحتياج إليه من معادن ومعامل وغير ذلك مما سبق الكلام عليه ، حتّى لو فرض وانقطعت عنها الواردات من جميع الجهات لأمكنها أن تعيش متمتعة بما منحها الله من الخيرات . ومن حسن حظ هؤلاء الناس أنهم في غاية البساطة والحشمة ، ولا يهم الافتخار بسفاسف الأمور أو التظاهر في الملابس الفاخرة والتحلي بأنواع الحلي الزائد عن الحاجة ، بل إن غاية افتخارهم هي خدمة بلادهم والمحافظة على عوائدهم وأوطانهم . وهم مجبولون على حب العمل فطرة الله التي فطرهم عليها . ولذلك تراهم دائما في حركة ونشاط ، يعملون أعمالهم بغاية السرعة والدقة ، مع أنهم ليسوا ضخام الأجسام ، وقلما يوجد في وجوههم شكل جميل .

وحكومة اليابان إمبراطورية دستورية أقيمت في 11 فبراير سنة 1889 على نسق النظام الألماني كما قدمناه ، فهلل لها الشعب الياباني واستقبلها بالفرح والسرور ، واتخذ يومها عيدا . ويقال للإمبراطور (ميكادو)[231] وبيده السلطة التنفيذية والتشريعية ، ويساعده في القيام بهما مجلسا نواب وأعيان .

ولقد أوتيت أمة اليابان حرية القول والدين والجرائد والاجتماعات ، مع اتخاذ بعض الاحتياطات .

وتاريخ ارتقاء هذه البلاد أنها اكتشفت[232] سنة 1400 ميلادية ، ودخلها البرتغاليون سنة 1450[233] بحجة الاتجار فيها ، وطردوا منها سنة 1638 ، ومن ثم منع دخول الأجانب فيها . وفي سنة 1852 اضطرت اليابان أن تعقد معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فأرسلت الدول سفراء لها في بيدو[234] وكانت دولة اليابان في

(231) (لقب Mikado ومعناه : البوابة السامية أو المهيبة) يستعمله الأجانب في وصف الإمبراطور ، أما اليابانيون فيقولون : Tenshi أو Tenno ومعناه : ابن السماء .

(232) لعل المقصود بالاكتشاف دخول البعثات التبشيرية ودورها في تعريف الغرب باليابان بعد 1549 .

(233) تحطم سفينة ثلاثة بحارين برتغاليين قرب جزيرة Tanegashima سنة 1543 كان أول احتكاك للغرب مع اليابان .

(234) بيدو Yedo أو إيدو Edo : البلدة التي أطلقوا عليها اسم طوكيو (عاصمة الشرق) بعد 1868 .

قديم الزمان دولة ضعيفة قامت فيها الحروب الأهلية . ولم يستتب فيها الأمن للعائلة المالكة إلا في سنة 1877 بعد ثورة[235] عظيمة وحوادث طويلة ، ومن ذلك الحين أخذت في الترقي السريع . وفي 11 فبراير سنة 1889 أقيمت فيها الحكومة الدستورية على النظام الحالي ، وأخذت في التقدم بسرعة غريبة قد اندهش منها العالم أجمع .

كوريا

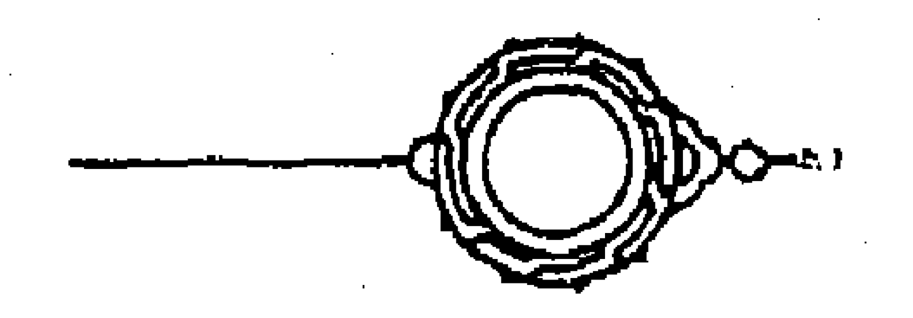
(وأما كوريا) فهي أيضا مملكة الشرق الأقصى يحدها شرقا بحر اليابان ، وغربا وجنوبا البحر الأصفر ، وشمالا منشوريا ، وهي جبلية الأراضي لكنها خصبة ، تعلو قمم جبالها الثلوج دائما ، وبها أنهار صغيرة يصب أكثرها في البحر الأصفر ، وهي غزيرة المياه خصوصا في أنحائها الجنوبية ، وعدد سكانها نحو أحد عشر مليونا من الأنفس وهم من أصل مغولي ، وكلهم في غاية من بسطة الجسم وطول القامة ، وتظهر عليهم القوة والشدة ، وعلى مشيتهم العظمة كأنهم كلهم عظماء . ولكنهم بعكس اليابانيين في جميع صفاتهم الممدوحة ، لأنهم في غاية الكسل . وليس لهم بحرية تجارية ، ولا طرق زراعية ولا عمومية ، ولا سكك حديدية سوى خط واحد ، وليس عندهم صنائع . وأغلب أراضيهم قاحلة وغير منتظمة السكك ، وهم في غاية بطء الحركة . والذي سمعنا عنهم أنهم قد حببت إليهم الشهوات النفسانية ، فهم يشترون أولاد الفقراء ذكورا وإناثا من سن العشرة إلى العشرين ويبقونهم في خدمتهم وملاذهم الشهوانية ، بدون التفات إلى أي عمل يعود إلى البلاد بالتقدم والسعادة .

وكانت قديما تحت سيادة الصين ، ثم تخلصت منها عقب الحرب اليابانية الصينية . ثم أتتها روسيا ووضعت عليها شبه حماية ، واستلمت مفاتيح خزائنها ووضعت ماليتها تحت مراقبتها ، وعينت عدة ضباط لتنظيم جيشها . وصارت سياستها مساماة[236] الدول ، والتماس رضا روسيا واتباع مشورتها . ثم بعد تمام الحرب الروسية اليابانية وانتصار اليابان على روسيا ورجحانها عليها ، صارت كوريا بموجب المعاهدة الصلحية التي تمت بينهما تحت سيادة اليابان ماليا وسياسيا ، لا يعارضها أحد في إدراتها ولا مراقبتها ولا حمايتها .

---

(235) تلك الأحداث تسمى في التاريخ : (عصيان ساتسوما Satsuma فبراير – سبتمبر 1877) .

(236) المساماة : المفاخرة والمجاراة .



(وأما منشوريا) فهي واقعة في شمال كوريا ، وفي الجهة الشمالية الشرقية من سور الصين الشهير ، وهي كثيرة المعادن جيدة التربة إلا أن أغلب أراضيها صحراء جرداء أو جبال صخرية . وهي شديدة البرد شتاء والحر صيفا ، وأكثر أهلها رعاة . ويقال إنهم من أصل مغولي ، وعاصمتها مدينة مكدن التي يعتبرها الصينيون مقدسة وبها مقابر الأسرة الملوكية ، وقد سبق الكلام عليها .

وكانت منشوريا قد وقعت في قبضة روسيا بالسكة الحديدية الذاهبة إلى بور أرثر(237) . وذلك أنه بعد الحرب اليابانية الصينية وغلبة اليابان للصين ، صغرت الصين في عيون الغربيين وامتدت أطماعهم إليها ، بعد ما كانوا يهابونها ، فتقدمت ألمانيا واحتلت ثغر كياو تشاو(238) بدون أدنى معارضة . وتبعتها روسيا فاحتلت بور أرثر ، واحتلت إنجلترا(239) ثغر واى هايواى(240) ثم لم يسكن جاشها(241) إلا وقامت ثورة البوكسر(242) سنة 1313 هـ التي ابتدأت بقتل المرسلين المسيحيين ، وتداخلت الدول بجيوشها . واضطرت الصين أن تتنازل عن جملة امتيازات تزيد نفوذ الغربيين فيها وتقوي مطامعهم ، إلا أنه بعد الحرب اليابانية الروسية قد أخذت نوع انتعاش حيث أن المعاهدة التي أبرمت بين اليابان وروسيا ردت لها منشوريا ومنعت التعرض لها ، إذ أن هذه المعاهدة قد تمت على المواد الآتية :

(المادة الأولى) عود السلم والوداد بين الدولتين الرعيتين .

(الثانية) اعتراف روسيا بسيادة اليابان في كوريا ماليا وسياسيا وعسكريا وعدم معارضتها في إدارتها ولا في حمايتها ولا مراقبتها ، ويبقى للرعايا الروسيين حق

---

(237) اسمها اليوم لوشون Lushun في جنوب شرق الصين ، مطلة على خليج كوريا .

(238) Kiao-chow أو Jiao-zhou : ميناء على البحر الأصفر في شرق الصين .

(239) إنجلترا .

(240) الصحيح : وايهاي Weihai ، وهي في الشمال الشرقي من مقاطعة شاندونغ .

(241) الجأش (بالهمزة) : القلب ، وسكون الجأش : الهدوء والاستقرار .

(242) حركة سرية صينية بدأت سنة 1899 ضد الأجانب ودعت المتنصرين من أبناء الصين للارتداد عن المسيحية ومقاومة دعاتها .

التمتع في كوريا طبقا للقوانين المخولة لهم في سائر مشروعاتهم كغيرهم من بقية الرعايا .

(الثالثة) جلاء روسيا واليابان عن منشوريا معا مع بقاء حقوق الشركات والأشخاص فيها آمنة من المس .

(الرابعة) تعهد الدولتين بعدم التعرض لحكومة الصين في عموم مصالحها في منشوريا تجارة وصناعة .

(الخامسة) نقل الحقوق التي كانت لروسيا في بور أرثر ودالني[243] والأراضي المجاورة لها في اليابان ، مع بقاء احترام الحقوق التي اكتسبها الروسيون وصونها هناك .

(السادسة) تقسم سكك حديد منشوريا بين الروس واليابان في كوانغ تسنغ تسي[244] ولا يجوز استخدام قسمي هذه السكة إلا لغرض تجاري أو صناعي مع صيانة حقوق الروسيا المبرمة سابقا وتكتسب اليابان ملكية المناجم التي يمر عليها قسم السكة الحديدية الخاص بها .

(السابعة) تنازل الروسيا عن جزيرة سخالين إلى الدرجة الخمسين والجزائر اللاحقة بها .

(الثامنة) تعهد الطرفين بتجديد المعاهدة التجارية التي كانت بينهما قبل الحرب .

(التاسعة) تعهد الروسيا بأن تمضي اتفاقا مع اليابان على حقوق الصين الممنوحة لليابانيين في المياه البحرية التابعة لروسيا ، إلى آخر ما جاء في هذه المعاهدة التي من ضمن موادها جلاء الجيشين من منشوريا في مدة ثمانية عشر شهرا .

(وأما الصينيون) فإنه يظهر على أمرائهم الأبهة والعظمة وضخامة الملك ، كما أنه يظهر على وجوههم علامات الذكاء والفطنة .

وأما الفقراء ، منهم فقد حبب إليهم العمل بحالة لا تكاد توجد في غيرهم من سائر أنواع البشر ، ولذلك قد ذاع صيتهم وعلت شهرتهم في سائر أنحاء الدنيا حتّى إن أغلب المعامل في الجهات التي لا يمكن الأوروبي أن يعيش فيها يجعلون جميع عمالها من الصينيين ، لما عهد فيهم من القدرة على تحمل المشاق والرضا بالأجر

---

(243) لعلها داليان Dalian

(244) هناك مدينة Shuangcheng على هذا الخط الحديدي قبل خاربين ، فلعلها هي المقصودة .

القليل وعدم إثارة الفتن والقلاقل والصبر على كل ما لايمكن غيرهم أن يتحمله ويصبر عليه . والذي سمعناه عنهم وشاهدناه منهم أنهم في غاية من الأمانة والعفة والصيانة والضبط في الحساب ، إلى غير ذلك من الصفات التي يفتخر بها ذوو الألباب . ولذلك ترى جميع (البنوك) الأوروبية والمحال الكبيرة التجارية باليابان وكوريا والصين لا يقوم بحسابها أحد إلا الصينيون لكفاءتهم ومهارتهم وأمانتهم ، هذا فضلا عن شهرتهم في الصنائع العديدة والأعمال النافعة المفيدة وأنهم هم الذين كانوا سببا في نشر كثير من الصنائع في البلاد المجاورة لهم كاليابان وكوريا . والذي سررت منه كثيرا أن المسلمين منهم منظور لهم بعين الوقار والعظمة والاعتبار لحزمهم وهمتهم وبأسهم وثروتهم فإنه في ثروة تامة ونعمة عامة ، ولهم تجارات واسعة في أنحاء تلك البلاد الشاسعة ومصانع كثيرة ومعامل شهيرة . ومع ذلك فإنهم لا يألون جهدا في إدخال كثير من أهل تلك البلاد في دين الإسلام . ولذلك لا يزال عدد المسلمين عندهم أخذوا في الزيادة والنماء بهمة هؤلاء العظماء الذين قاموا مقام العلماء في هذه الخدمة الجليلة والمنقبة الجميلة .

ثم لا يخفى على القارئ أني في سياحتي هذه ، قد مررت على بلاد الروسيا وعند مروري عليها وجدتهم قد فاقوا غيرهم في حسن المعاملة وجميل المجاملة ، لأن ما حصل لنا منهم من الإكرام لا يمكن أن تعبر عنه ألسنة الأقلام لأنه لم يحصل مثله في أي دولة من الدول . والذي دعاهم إلى ذلك هو التوصية علينا من سفير روسيا ، كما أوصى غيره من السفارات الأخرى الموجودة بمصر ، ولكن الروسيين[245] قد بالغوا في الترحيب والتكريم والإجلال والتعظيم إلى حد قد بلغ في الغاية ووصل إلى النهاية . وهذا آخر ما أردنا كتابته من رحلتنا هذه ، والحمد لله أولاً وآخرا ، حيث لحظنا بعين عنايته وكلأنا بحسن رعايته فسرنا آمنين ورجعنا إلى أوطاننا سالمين ، وعلمنا ما لم نكن نعلم من أحوال تلك البلاد وما أودعه الله فيها من أسرار الكائنات وغرائب الموجودات بحوله وقوته وتوفيقه ومعونته ، وصَلَّى اللَّهُ على سيدنا مُحَمَّد وعَلى آله وصحبه وَسَلَّمَ .

---

(245) وردت في النص سهوا (الروسيون) .

كشاف حضاري لليابانية

آيات قرآنية

أجناس

أحاديث

أشعار (القوافي)

أعلام

أماكن

(أ)

(ب)

صناعات

كتب

كوارث وأمراض

مصطلحات

معابد

معالم أثرية

منشآت

مواد ومعادن

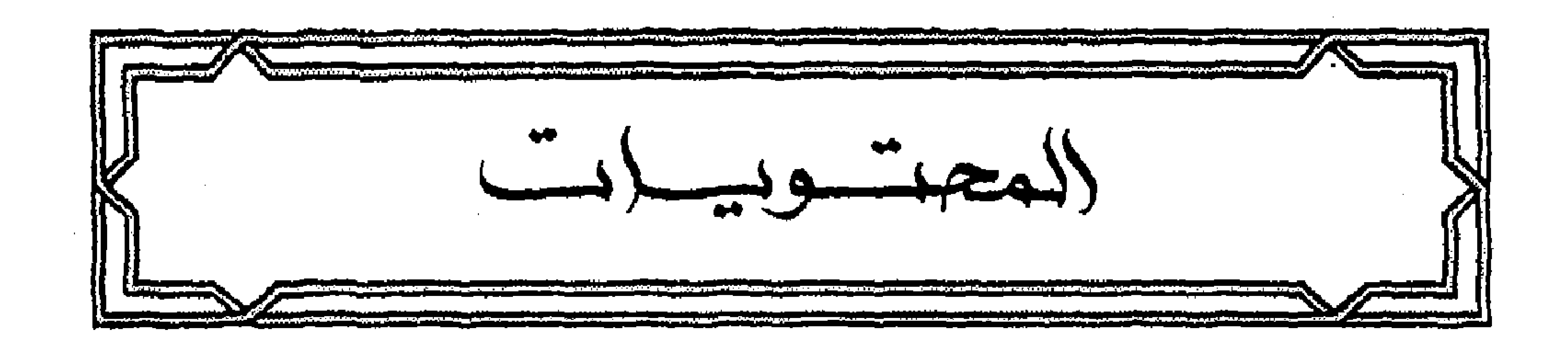
مواسم وأعياد وعادات

نبات

نقود

هيئات ومنظمات

وسائل وأدوات



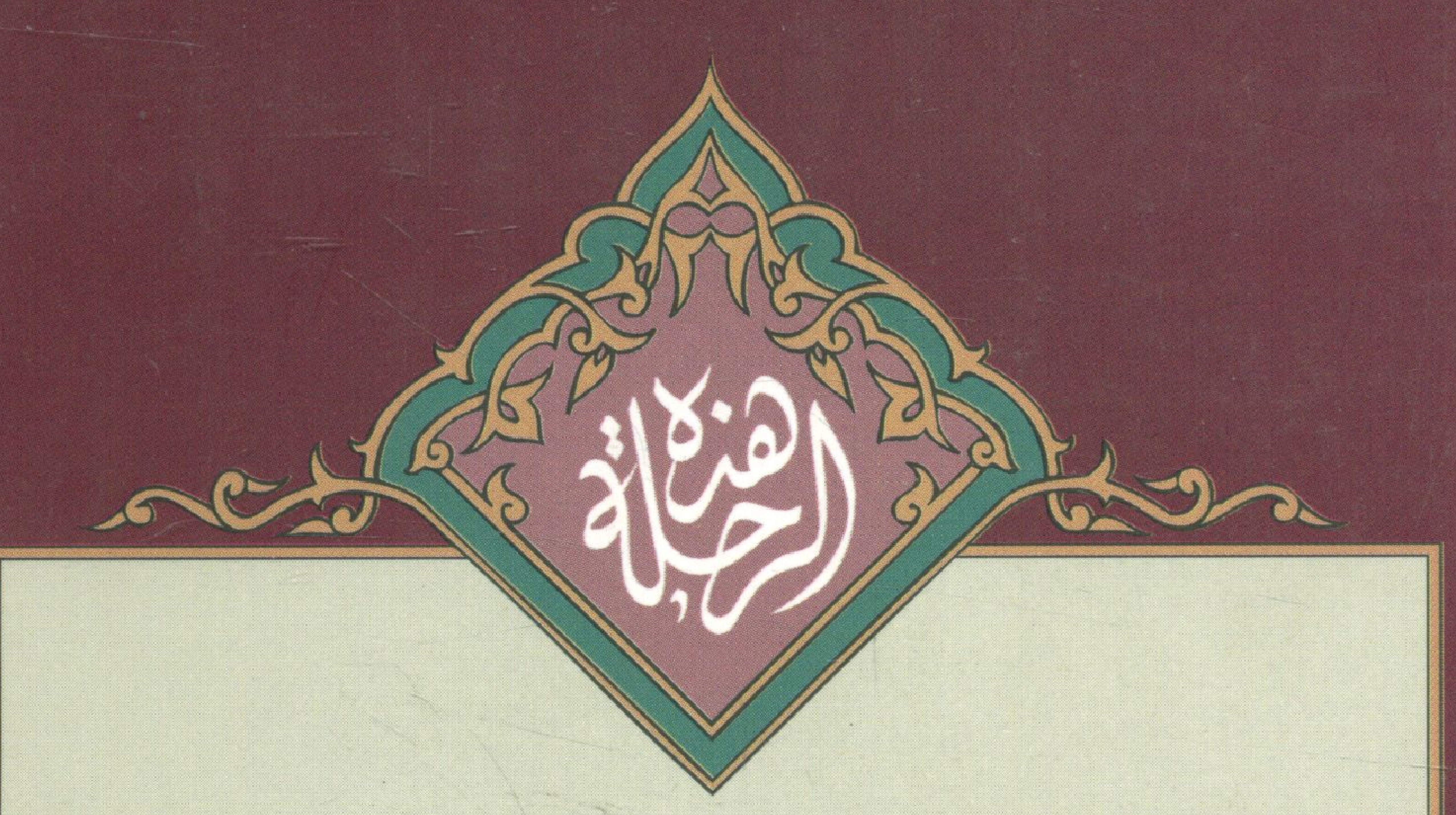
المحتويات

صدر ضمن سلسلة ارتياد الآفاق

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار 1185-1182	محمد بن جبير الأندلسي	علي أحمد كنعان
الذهب والعاصفة . . رحلة الياس الموصلي إلى أميركا ، أول رحلة شرقية إلى «العالم الجديد» 1683-1668	إلياس الموصلي	نوري الجرّاح
رحلتان إلى سوريا 1908-1920	الشيخ محمد رشيد رضا «صاحب المنار»	زهير أحمد ظاظا
رحلة الحبشة . . من الأستانة إلى أديس أبابا 1896	صادق باشا المؤيد العظم	نوري الجرّاح
الديوان النفيس في إيوان باريس أو «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»	رفاعة رافع الطهطاوي	علي أحمد كنعان
رحلة إلى أعالي النيل الأبيض 1839-1840	البكباشي سليم قبطان	نوري الجرّاح
رحلة إلى أوروبا 1912	جرجي زيدان	قاسم وهب
الرحلة الشامية 1910	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف 1929	شكيب ارسلان	أيمن حجازي
رحلة باريس 1867	فرنسيس فتح الله المرّاش	قاسم وهب
الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902	الحسن بن محمد الغسّال	د . عبدالرحيم موذن
رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691	محمد الغسّاني الأندلسي	نوري الجرّاح
خطرة الطيف . . رحلات في المغرب والأندلس 1347-1362	لسان الدين بن الخطيب	د . أحمد مختار العبادي
رحلة ابن خلدون 1352-1401	محمد بن تاويت الطنجي	نوري الجرّاح
رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة 921	أحمد بن فضلان	شاكر لعيبي

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
رحلة الغرناطي . . تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبة وآسيا	أبو حامد محمد الغرناطي	قاسم وهب
رحلة إلى الهند 1899-1900	مار أثناسيوس أغناطيوس نوري	نوري الجرّاح
رحلة أفوقاي الأندلسي . . مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613	أحمد بن قاسم الحجري (أفوقاي)	د . محمد رزوق
رحلة المقدسي . . أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم 985-990	محمد بن أحمد المقدسي	شاكر لعيبي
سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم
النزهة الشهية في الرحلة السليمية 1855	سليم بسترس	قاسم وهب
رحلة الشتاء والصيف 1629	الشيخ محمد عبدالله الحسيني	سامر الشنواني
الرحلة الأوروبية 1919	محمد بن الحسن البحري الثعالبي	د . سعيد الفاضلي
رحلة المكناسي . . إحراز المعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785	محمد بن عبدالوهاب المكناسي	محمد بوكبوط
الواسطة في معرفة أحوال مالطة . . كشف المخبأ عن فنون أوروبا 1834-1857	احمد فارس الشدياق	قاسم وهب
الرحلة الأمريكية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الرحلة اليابانية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
رحلة شيخ الأزهر إلى أوروبة . . مذكرات مسافر 1909-1914	الشيخ مصطفى عبدالرازق	أشرف أبو اليزيد
خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932	محمد الخضر حسين وآخرون	د . محمد صالح الجابري
رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال 1743-1748	ابن حمادوش	د . أبو القاسم سعد الله
رحلة محمد الكبير . . باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري	احمد التلمساني	محمد عبدالكريم

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
بيروت - برلين - بيروت . . مشاهدات في أوروبا وألمانيا اثناء الحرب العالمية الثانية	كامل مروة	كريم مروة
رحلة إلى صحراء ليبيا	محمد حسين باشا	
اسبوع في بارس 1922	محمد بن عبدالسلام السائح	د . سليمان القرشي
البرنس في باريس - رحلة إلى فرنسا وسويسرا 1913	محمد المقداد الورتتاني	د . سعيد الفاضلي
سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير 1915	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم



أهمية هذه الرحلة أنها جاءت بعد انتصار اليابان على روسيا القيصرية، بينما يضفي طريق السفر الذي اختاره الرحالة مسحة جذابة عليها. ولعل خلع السلطان عبد الحميد كان السبب الذي جعل الأمير يسافر من الاسكندرية الى موسكو عبر ايطاليا والنمسا. من موسكو سيستقل الأمير القطار الذي يعبر سيبيريا مسافة تقارب عشرة آلاف كيلومتر وصولاً الى بحر اليابان، ثم عبره إلى تلك البلدان. تحفل الرحلة بمشاهد مما يحيط بهذه السكة من مزارع وملامح خاصة بالمكان والسكان، وبوصف حيّ للمحطات التي مر بها المسافر، دون أن ينسى الاشارة الى قطاع الطرق الذين كانوا يتنكرون بزيّ مسافرين عاديين.

وفي اليابان التي تمتاز بطبيعة ساحرة، سيقوم الأمير محمد علي بزيارة أهم المدن الحافلة بالمعالم التاريخية والصناعات والأسواق والفنون والآداب.

ارتياد الآفاق



ISBN 9953-36-603-9









